دراســـــات

في التأثيرات الفارسية على الفكر السياسي الاسلامي خلال العصر العباسي

د/ زكية بالناصر القعود

جامعة بنغازي/ قسم التاريخ الاسلامي

دكتوراه في التاريخ الاسلامي



دراســات
في التأثيرات الفارسية على الفكر السياسي الاسلامي خلال العصر العباسي

تأليف: د. زكية بالناصر

غلاف: فاطمة رمضان

تنسيق: رحاب محمد عبد الله

الطبعة: الأولى

المقاس: 14*20

رقم الإيداع: 9774 /2024

الترقيم الدولي:1-83-8979-977-978

المدير العام

د. محمد إبراهيم

الناشر: عين حورس للطباعة والنشر والترجمة

المقر: ١ب/٢فيلا الجابري- ناصية المعونة الأمريكية

تقسيم اللاسلكي – المعادي

رقم الهاتف: ٠١٠١٣٥١٨١٥٥

واتس: ٠١١٥٣١٦٥٦٣٢

البريد الإلكتروني: gmail.com@٢٢ainhouras

إهـــداء

قال البديع الأسطرلابي:

"أهدي لمجلسه الكريم وإنما أهدي له ما حزت من نعمائه كالبحر يمطره السحاب وماله فضل عليه لأنه من مائه"

إهداء إلى روح والدي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ذي الجلال والكمال والإنعام، والصلاة والسلام على سيد الأنام، وعلى آله الأخيار الكرام، وعلى أصحابه المكرمين الأبرار.

بانطلاق عملية الفتوح الإسلامية توسعت حدود الدولة شرقا، وبتوسعها ضمت شعوبا كانت أراضيها مستقرا لحضارات امتدت لآلاف السنين، ولم تكن عملية الفتح مجرد عملية توسع عسكرية وإنما صحبها نقل لخصائص الإسلام، التي ارتكزت في الأساس على اللغة العربية كونها لغة القرآن واللغة الرسمية للدولة العربية الإسلامية، ولغة لبيئة الحضارة التي نشأت فيها تلك الدولة واحتضنتها.

امتازت الدولة العربية الأولى التي امتدت الى نهاية عصر الامويين بطابعها العربي الخالص سواء في ادارتها، أو في الحفاظ على الموروث الثقافي العربي، باتباع سياسة قامت على مبدأ التعريب، حيث عربت الإدارة وشرع في تعريب النقد، وتعريب الدواوين، واستطاعت الدولة عبر تلك الإجراءات الحفاظ على هويتها العربية، إلى جانب خصوصية شمولية دينها حتى بدايات العصر العباسي.

مع بدايات العصر العباسي بدأ المكون الفارسي يتغلغل في اركان الدولة، حيث اعتمد العباسيون أولا على الفرس سواء في مرحلة الدعوة للدولة، أو في قيادة جيوشها لاحقا، وكذلك في تغلغلهم اللاحق في

مؤسسات الدولة، عبر توليهم مناصب عليا في الإدارات والوزارات حتى طبعت مراحل الدولة العباسية في الكثير من محطاتها باسمهم.

صحب تغلغل الفرس في مفاصل الدولة العربية الإسلامية وانتشار تلك الدولة في أراض شاسعة كانت فارسية، إلى تغلغل ثقافة الفرس وموروثهم الحضاري في بنية الدولة الثقافية، واصبح التقليد الحضاري خاضعا للكثرة لا للمغالبة، وقد صحب ذاك الانتشار في التقاليد الفارسية تقليدا في المظاهر السياسية للدولة، والتي غدت تدار بتقاليد حكم اشبه بالفارسية منها للعربية، فعرف الحكام العباسيين نمطا كان غريبا على ثقافة العرب في إدارة القصور وفي ترتيباتها الإدارية، فحولت مؤسسة الخلافة من طابعها الشعبي البسيط الذي كان معروفا زمن الرسول الكريم والخلفاء الراشدين، إلى مظهر من البلاط الذي يدار وفق نظام إداري متعدد الوظائف في طرقه وطقوسه واجراءاته وغدى الحكام منعزلون عن الشعب، وغدت العلاقة مع السلطة الحاكمة علاقة غير مباشرة، تقوم على وسطاء اداريين سواء كانوا حجابا أو وزراء.

كما لم يكتف تغلغل الموروث الثقافي الفارسي بمجرد التأثير في البنية المادية للدولة، وإنما عداها الى البنية المعنوية، وذلك في أسلوب الحكم وطرائقه ومرتكزاته الفكرية، وقد كان للموروث الفكري الفارسي أثر كبير في هذا الباب، حتى أضحى الحكام العباسيين في كثير من المحطات يتبنون قضايا فكرية ناتجة عن الفلسفة الفارسية ويسقطونها في برنامج حكمهم حتى وصلت إلى الحكم على المجتمع وعلمائه بموجب تلك القناعات الفكرية الموروثة مثل جدلية خلق القرآن التي حول الإيمان بها من عدمه إلى قضية موت وحياة.

انتشرت كتب التراث الفارسي، وازدهرت حركة ترجمتها وتحولت إلى مادة الثقافة الأساسية نتاج كتب الفلاسفة والادباء والمفكرين الفرس، وأصبحت تطغى على المجتمع الثقافي وعلى بنية الدولة الفكرية، وبرز الأدباء والكتاب والمؤرخين الفرس، فنهلوا من القران الكريم والسنة النبوية وعلوم اللغة ومن الاخباريين العرب مادة وظفت أغلبها لخدمة اجندة ثقافية قومية، تخدم أغراض ة تحمل في ظاهرها خدمة الدين، وفي باطنها توظيف لذات الدين، عبر توظيف قضايا فلسفية أدخلت على الفكر العربي اقرب ما تكون لأدبيات الفرس منها لأدبيات العرب، سواء عبر علم الكلام، أو عبر ترسيخ قضايا فكرية، مثل قضية الإمامة والرجعة والوصية، والتي خلقت حالة من الانقسام في بنية الدولة الدينية.

يحاول هذا البحث الغوص في تداعيات انتشار الموروث الفارسي وتغلغله في الحياة السياسية للعباسيين، وذلك من خلال البحث في الإشكال القائم على تناقض فكرة تقليد المغلوب للغالب مع سيطرة ثقافة الفرس خلال العصر العباسي، فهل تدلل تلك السيطرة الحضارية على أن المغالبة كانت للفرس بعد احتوائهم للدولة الإسلامية، وهل تلك المغالبة كانت في أساسها مغالبة باسم الدين؟ أم كانت مغالبة بسبب توظيف الدين؟ وهل تعني تلك المغالبة أن بني أمية كانوا مدركين بأن تلك المغالبة ستقع؟ وأن اجراءاتهم التعريبية كانت محاولة استباقية؟، وهل كان عمر بن الخطاب يعمل على نفس المفهوم عندما قام ببناء حواضر عربية خالصة؟ ومنع الفاتحين من سكن المدن الفارسية؟

** **

الفصل الأول

أثر المكونات الهندية الفارسية على الدولة الإسلامية
من سنة ١١هـ إلى سنة ١٣٢هـ
قبائل الزط أنموذجًا

المقدمة

تهتم الأمم والشعوب بدراسة التاريخ والاعتكاف على تحليل أحداثه ووقائعه، وقد حث الله تعالى على ذلك؛ لأخذ العبرة والعظة، والدروس والفوائد العظيمة، يقول تعالى: ﴿**لَقَدْ كانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبابِ ما كانَ حَدِيثاً يُفْتَرى وَلكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾ (سورة يوسف، آية ١١١)، غير أن قصص القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، بحاجة إلى مزيد من النظر والاستيثاق، وهذا حال كتب التاريخ والحوادث جملة.

والتاريخ الإسلامي غني بمصادره ومليء بمراجعه، وقد حظي بكثير من الاهتمام، وتحدثت مصادره عن عناصر وافدة إلى البلاد العربية قبل الإسلام وبعده، وتاريخها بحاجة إلى مزيد من الجمع والتحليل والنقد، ومن ذلك المكونات الهندية التي اختلطت بالعرب وشاركت معها الأفراح والأحزان والسلم والحرب، وقد كان لقبائل الزط خاصة أدوار وتأثيرات على العرب والمسلمين، فذكرهم النبي في أحاديث ﷺ، وتحدث عنهم الصحابة الكرام رضي الله عنهم، وأسلم بعضهم وارتد بعضهم، واستقر أغلب الزط على الإسلام، وشاركوا في الفتوحات الإسلامية في فارس وبلاد السند والهند.

وأرجوا أن تكون هذه الدراسة قد ألمت بجوانب قبائل الزط وتأثيراتها منذ ظهورها في بلاد العرب وسطوع فجر الإسلام إلى أفول عهد الدولة الأموية.

١. أولا: التعريف بقبائل الزط الهندية وذكر صفاتهم

١,١ التعريف بقبائل الزط

١,١,١ الزط في لغة العرب:

الزط بتشديد الراء وضمها ليس بعربي محض، وعند الرجوع إلى كتب اللغة العربية لم يرد للفظ الزط معنى معينا، وإنما استخدمته العرب للدلالة على قوم الزط من أهل السند كما سيأتي الحديث عنهم، وقد وردت بعض الألفاظ العربية القريبة من لفظ الزط ومنها:

١. الزُّطُط والثُّطُط بضمتين فيهما: الكَواسِج[١].

٢. الأَزَطُّ: المُسْتَوِي الوجهِ[٢].

٣. الأَذَطُّ: المُعْوَجُّ الفَكِّ[٣].

٤. زَطَّ الذُّبَابُ: صَوَّتَ[٤].

٥. الزَّلْطُ: المَشيُ السَّرِيع فِي بعض اللغات، قال ابن دُرَيْدٍ: وَلَيْسَ بِثَبَتٍ[٥].

---

(١) تهذيب اللغة للأزهري (١١١/١٣)، لسان العرب لابن منظور (٣٠٨/٧).

(٢) المصدران نفسهما.

(٣) المصدران نفسهما.

(٤) المحيط في اللغة للصاحب بن عباد (٧/٩).

(٥) تهذيب اللغة للأزهري (١١١/١٣)، لسان العرب لابن منظور (٣٠٨/٧).

ومع ذلك فلم يخلو كلام العرب من ذكر لفظ الزط في مجالسهم وأشعارهم وأمثالهم، كما أن كتب اللغة والمعاجم والغريب تحدثت عن قوم الزط ولباسهم وعاداتهم وبلدهم، ونقلت أبيات الشعراء فيهم، ومن ذلك:

فَجِئْنا بِحَيَّيْ وائِلٍ وبِلِفِّهَاج وجاءَتْ تَمِيمٌ زُطُّهَا والأَساوِرُ[1]

٢,١,١ التعريف بقبائل الزط:

تعددت تعريفات أهل اللغة وتنوعت في قوم الزط، ومن ذلك:

١. هم: قوم من السودان، ذكره الخليل بن أحمد[٢]، وقال الصاحب ابن عباد:)جِيْلٌ من السُّوْدانِ، لَيْسَتْ بعَرَبِيَّةٍ)[٣]، وقال القاضي عياض:)الزط بضم الزاي جنس من السودان)[٤]، وقال الحميري:)جيلٌ من السودان من السِّنْد)[٥].

٢. قال ابن سيده: (جِيلٌ أسودُ من السِّنْدِ، إليهم تُنْسَبُ الثِّيابُ الزُّطِّيَّةُ)[٦]، وكذا نقله ابن منظور[٧]، وهذا التعريف يفسر أن المراد بالسودان في التعريف الأول هو السواد لا بلد السودان.

٣. قال الخليل بن أحمد والأزهري: هم (أَعْرابُ جَتَّ بالهنديّة، وهم

(١) جمهرة اللغة لابن دريد (٨١٣/٢)، المحيط في اللغة للصاحب بن عباد (٢٧/٩)، المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده (٢٠/٩)، لسان العرب لابن منظور (٣٠٨/٧).

(٢) العين للخليل بن أحمد (٣٤٧/٧).

(٣) المحيط في اللغة للصاحب بن عباد (٧/٩).

(٤) مشارق الأنوار للقاضي عياض (٣١٠/١).

(٥) شمس العلوم للحميري (٢٧٣١/٥).

(٦) المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده (٣/٩).

(٧) لسان العرب لابن منظور (٣٠٨/٧).

جِيْلٌ مِن أَهْل الهِنْد، إليهم تُنسَبُ الثّياب الزُّطيّة)[1]، وجَتَّ بالفتح، والقياس يقتضى فَتْح معَرّبه أيضًا[2].

٤. قيل: (الزُّطُّ السَّبابِجةُ قَوْمٌ مِنَ السِّنْدِ بِالْبَصْرَةِ)[3]، وهذا التعريف فيه خلط بين الزط والسيابجة؛ لأن كتب التاريخ تذكرهما كقومين مختلفين عن بعضهما.

٥. هم: (حُفَّاظ الطُّرُق، وَهُم جِنْسٌ مِنَ السِّند، يُقَال لهم: جِتَّان)[4].

٦. يرى ابن المسيب والزُهري والصحاري وابن عساكر والقزويني أن الزط من أبناء حام بن نوح نبي الله عَلَيْهِ السَّلَامُ[5]، خلافًا للمعافري فهو يرى أنهم من أبناء يافث بن نوح[6].

وخلاصة القول: هو أن لفظ الزط يطلق على قوم من بلاد السند، الواحد زطى، مثل الزنج وزنجي، والروم وورومي[7]، وكانوا يسمون بالنور[8]، والغجر[9]، وعرفوا أيضًا باسم سلولي أو لوري[10].

---

(١) العين للخليل بن أحمد (٣٤٧/٧)، تهذيب اللغة للأزهري (١١١/١٣).

(٢) القاموس المحيط للفيروزآبادى (ص٦٦٨).

لسان العرب لابن منظور (٣٠٨/٧)، تاج العروس للزبيدي (٣٢٢/١٩).

(٤) مفاتيح العلوم للبلخي (ص١٤٣).

(٥) الأنساب للصحاري (ص٢٢،٤٥)، تاريخ دمشق لابن عساكر (٢٧٠/٦٢)، شرح مقامات الحريري للقيسي (١٢١/٢)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٣٣/٧)، آثار البلاد وأخبار العباد للقزويني (ص١٢٧).

(٦) التيجان في ملوك حمير للمعافري (ص٢٣٢).

(٧) الصحاح تاج اللغة للجوهري (١١٢٩/٣).

(٨) تاريخ ابن خلدون (٢٥٧/٣).

(٩) الإسلام في مجده الأول لموريس لومبار (ص٢٢٩).

(١٠) مجلة لغة العرب العراقية، العدد (٦٢)، (٥٧٤/٦).

٢,١ صفات وعادات الزط:

تتميز الشعوب والمجتمعات عن بعضها بميزات وخصائص من حيث اللغة واللباس والعادات والتقاليد والثقافات، وللزط كمجتمع قديم خصائص وصفات وردت متناثرة في كتب التاريخ من أهمها وأبرزها ما يأتي:

١. ما يتعلق بأكلهم فهم بأخصاص كأخصاص البربر -وقيل: الأكراد- وطعامهم السمك وطير الماء في جملة ما يتغذون به، ولهم سموك كبار جليلة، وليس أغذيتهم من السمك كأغذية أهل الشحر من سمك الورق الذي أكبر ما يكون منه كالإصبع ودونها[١]، ويداومون بين السّمك واللّبن، وهم مغتمسون في جميع أصناف الرّطوبات[٢].

٢. ليس في الزّط من البرص ما ينكر، إلّا أن تكون الحرارة هي التي تقذف بالبلغم من أجواف أهل البدو إلى ظاهر جلودهم[٣].

ثالثًا: اشتهروا بالشراسة والقتال، وفيهم يقول الشاعر[٤]:

وكم قطعنا من عدو شرسج زط وأكراد وقفس[٥] قفس

٣. اشتهروا بحياكة وخياطة الملابس، وسميت باسمهم، وقيل: إن ألبستهم تشبه ألبسة الأفغان[٦].

---

(١) صورة الأرض لابن حوقل (٣٢٨/٢).

(٢) البرصان والعرجان والعميان والحولان للجاحظ (ص٨٣).

(٣) المصدر نفسه.

(٤) الشاعر مجهول. العين للخليل بن أحمد (٨٣/٥)، تهذيب اللغة للأزهري (٣١٤/٨).

(٥) قفس: رديء لئيم، نعت للأمة خاصة. العين للخليل بن أحمد (٨٣/٥)، تهذيب اللغة للأزهري (٣١٤/٨).

(٦) مجلة لغة العرب العراقية، العدد (٧٧)، (١١٣/٨).

٤. اشتهروا بالغناء والعزف وضرب الدفوف والمزامير، ومن وفيهم يقول الشاعر[١]:

مِنَ البَعُوضِ وَمَنَ التَغطّيج وهن منّي بمكان القرط

وقال آخر[٢]:

وَدَيْمومةٍ للجِنّ فيها زَمازِمٌج كما رَجَّعن يوماً بألحانها الزُّطُّ

٥. يضرب بهم المثل في الركاكة[٣]، قال الجاحظ:)والرّواة لا تعنى بلسان الزّط وسكّان الآجام؛ لهوانهم عليهم، ولأنّهم لم يتعايبوا بينهم بالكلام الذي يحفظ الرّواة مثله)[٤].

٢. ثانيا: أثر قبائل الزط الهندية في بلاد فارس وجريرة العرب قبل الإسلام

١,٢ أثرهم في بلاد فارس:

نظرًا للتقارب الجغرافي بين فارس وبلادي السند والهند فقد كان تواجد الزط في بلاد فارس بكثرة، ويرجع ذلك إلى جملة من الحوادث والأسباب، وأبرزها ما يأتي:

١,١,٢ التعامل الجائر والقاسي من قبل الحكومات الهندية: وذلك أن عقيدتهم تقوم على تقسيم الناس إلى طبقات، كان الزط في أدنى الطبقات، فحُرِم عليهم ركوب الدواب واللباس الفاخر[٥]، وهذا يعني فرار

---

(١) الحيوان للجاحظ (٢١٧/٥)، ربيع الأبرار للزمخشري (٤٢٥/٥)، مسالك الأبصار للعدوي (٢٦١/١٢).

(٢) الشعر لابن الكميت. خريدة القصر للأصبهاني (٥٠٤/٢).

(٣) الجغرافيا للمغربي (ص٣٠).

(٤) البرصان والعرجان والعميان والحولان للجاحظ (ص٨٣).

(٥) دولة بني العباس، لمصطف (٣/ ٣٣٣).

الناس نحو البلدان المجاورة، ومنها بلاد فارس حيث حضارة الساسانيين الكبيرة.

٢,١,٢ غلاء الأسعار والمعيشة في بلادهم: وقد أجبرهم ذلك على الهجرة إلى بلاد فارس والعراق[١]، وهذا يعني أن الزط قابلين للعمل في أي قطاع إنتاجي سواء في الصناعة أو التجارة أو الرعي أو غير ذلك، وكانت أعدادهم كبيرة في بلاد فارس قبل الإسلام.

٣,١,٢ استقدام الزط لغرض التسلية والغناء في الحروب: فقد ذكر الأصفهاني أن ملك فارس بهرام جور بن يزدجرد (٤٢٠: ٤٣٨ م) كانت له آثار كثيرة في الترك والروم والهند، وقد ورد أرض الهند متنكرًا، وكان أخذ الناس بأن يعملوا من كل يوم نصفه ثم يستريحوا ويتوفروا بالأكل والشرب واللهو، وأن يشربوا بالحواشية والأكائل، فعزّ المغنون وارتفعت أسعارهم، فمرّ بهرام يومًا بقوم يشربون على غير ملهين فقال: أليس قد نهيتكم عن الغفلة من الملاهي؟ فقالوا: قد طلبناه بزيادة على مائة درهم فلم نقدر عليه، فدعا بالدواة والمهرق وكتب إلى ملك الهند يستدعي منه ملهين، فأنفذ إليه اثني عشر ألف رجل منهم، ففرّقهم على بلدان مملكته، فتناسلوا بها وأولادهم باقون وإن قلوا وهم الزطّ[٢].

٤,١,٢ الأسر في الحروب والمعارك: فقد أسرت أعداد كبيرة منهم وجلبوا إلى فارس، ففي بداية القرن السابع الميلادي قام القائد الفارسي هرمز بعدة حملات عسكرية عبر البحر إلى سواحل بلاد السند والهند، فوقع في يده كثير من الأسرى، فساقهم إلى بلاد فارس، وكان معظمهم من

---

(١) التنبيه والإشراف للمسعودي (ص٣٢٣).

(٢) تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء للأصفهاني (ص٤٣).

الزط؛ لأن معظم الجيوش السندية كانت تتألف منهم، وقد استفاد منهم هرمز فضمهم إلى الجيوش الفارسية في محاربة المسلمين[1].

٢,٢. أثر الزط في جزيرة العرب قبل الإسلام:

عرف العرب قبل الإسلام الزط وتحدثوا عنهم، إلا أنه لم يكن لهم ظهور كبير في حياة العرب إلا بعد الإسلام، ولم تتحدث كتب التاريخ كثيرًا عن حياة الزط مع العرب قبل الإسلام، ووردت لهم حوادث مفرقة في صراع العرب مع الفرس، وخلاصتها على النحو الآتي:

١,٢,٢ صراع ملوك حمير مع الفرس:

ذكر المعافري في كتابه التيجان في ملوك حِمْيَر جملة من الأحداث التي حصلت للزط في ديارهم أو في بلاد فارس، وذكر أن حكم ملوك حمير اليمنية امتد إلى تلك البلاد، وخاضوا معهم معارك طاحنة وساندتهم الزط في بعضها، ومن ذلك:

١. **إخضاع حمير لفارس وبلاد الزط**: يذكر أن حمير بن سبأ الملك اليمني جمع الجيوش وسار يطأ الأمم ويدوس الأرضين، وأمعن في المشرق حتى أبعد يأجوج ومأجوج إلى مطلع الشمس، وأخضع قبائل من ولد يافث تحت يده، وهم: الترك، والزط، والكرد، والصغد، والخزر، والقذر، والديلم، وفرغان، ثم قفل نحو المغرب كما فعل أبوه سبأ[2]، وكلامه هذا يدل على أن قبائل الزط كانت لها حضور سياسي قوي في ذلك الزمان استدعى خوض المعارك لإخضاعهم.

(١) موسوعة التاريخ الإسلامي للطرازي (١/٨٨).

(٢) التيجان في ملوك حمير للمعافري (ص٦٠).

٢. **الخضر - عليه السلام- يُخضِع الزط لملكه**: والخضر هو الذي مكَّن الله له في الأرض وآتاه من كل شيء سببًا، وقد حرك جيوشه عبر البر والبحر وأخضع المشرق والمغرب لملكه وحكمه، ومن ذلك أنه مضى إلى أرض سمرقند[1] فوجد فيها قبائل الزط والكرد والصغد، فقتل منهم من قتل، وأجاب من أجاب، ثم أخذ أرض مرو[2] فوجد فيها الخزر وفرغان والديلم، وجميع هؤلاء القبائل من بني يافث، فقتل منهم من كفر، وآمن من آمن)[3]، وهذا الحدث يضاف إلى سجل الصراعات السياسية التي خاضها الزط في عقر دارهم.

٣. **الملك ناشر النعم يغزو بلاد الزط**: فقد خرج بجيوش حمير وقبائل قحطان إلى ما حوى آباؤه والتبايعة العظماء، فوطئ موطئًا من الأرض عظيمًا، وسار إلى طبرستان وباب الأبواب ولجج جبال الصغد إلى أرض الكرد والزط والخوز وفرغان فغلب عليهم، فلما فصل يريد أرض التبت إلى الصين وأرض الهند وصار بنهاوند ودينور مات فدفنه ابنه شمَّر وولي الملك من بعده[4].

٤. **حروب الملك شمَّر يرعش بن ناشر النعم**: وهو تبع الأكبر، وقد خاض حروبًا كثيرة، وأول حروبه مع الزط أنهم والصغد والكرد والخوز والقوط من بني يافث بن نوح -عليه السلام- فبعثوا إلى إخوانهم من بني يافث من كان منهم بأرض أرمينية إلى بلجا وجاجا وحرضوهم على قتال التبابعة؛ لما يكلفونهم فيه السخرة في المغازي وأصناف العمل من المتاع

(١) سمرقند: مدينة من خراسان. الروض المعطار لأبي عبد الله الحِميرى (ص٣٢٢).

(٢) مرو: من أشهر مدن خراسان. آثار البلاد وأخبار العباد للقزروني (ص٤٥٦).

(٣) التيجان في ملوك حمير للمعافري (ص١١٤).

(٤) المصدر نفسه (ص٢٣٠-٢٣٢).

والسلاح، فَقدَّم بنو فارس قباذ بن شهريار الفارسي في الملك وتوجوه، وثار الزط ومن معهم فهدموا قبر ناشر النعم وفرقوا رخامه وزجاجه، فغضب شمر يرعش وغضب العرب لغضبه، فأمر تبع شمر يرعش بالجيوش فبرزت، وخرج جميع أهل جزيرة العرب طوعًا وغضبًا، فواجهتم جيوش فارس بقيادة قباذ بن شهريار، وأقبل بنو يافث بأجمعهم يناصرون قباذ، وهم: الترك والديلم والخزر والغور والتبت والصغد والكرد والزط والخوز، وكان يرعش قد خلف ابنيه في أرض العراق وعمان مع كل واحد منهما مائة ألف مقاتل، وانطلق حتى بلغ أرمينة، فأخضعها، ولما علم قباذ تحرك بجيوشه بما فيهم الزط يريد أرض العرب حتى وصل العراق، فتلقاه ابنا شمَّر يرعش بجيشيهما فهزموه وجيشه، وانتهى الأمر بمقتل قباذ، ودخل ابنه في حكم شمر، وسار بجيش من فارس إلى أرض نهاوند ودينور فقتل الصغد والكرد والزط فأخضعهم، وأخذ جماعات منهم للخدمة واستخدمهم في الصناعات، وأما شمر فقد أعاد بناء قبر أبيه بجماجم الكرد والصغد والزط؛ وفاءًا لنذره، ثم أزال الجيف وأمرهم أن ينوه بأنواع الرخام وأنواع الجزع والزجاج والدر والياقوت، وقال لاتباعه: احبسوا ما أخذتم من نساء الصغد والزط ولا تحسبوا من نساء الكرد والخوز سباء، بيعوهن فإنهن يفسدن النسل، ويغيرن العقل ويدلن الألسن[1]، وهذا يعني أن الزط أسرع انسجامًا مع الشعوب، فلا يفسد نسل نسائهم، ولا يصعب عليهم تعلم لغة الأمم.

٢,٢,٢. الزط في العراق:

ذكر الحميري أن الساسانيين أنزلوا الزط جنوب العراق[2]، فيحتمل

(١) التيجان في ملوك حمير للمعافري (ص ٢٣٠- ٢٤٥).

(٢) شمس العلوم للحميري (٢٧٣١/٥).

أن هذا كان بعد هجراتهم بسبب الظلم والجور أو الفقر والفاقة التي ضربت بلادهم حيث ألجأتهم إلى بلاد العراق[1]، ويحتمل أيضًا أن الهدف هو تحصين الخطوط الإمامية لفارس أمام جيوس المسلمين التي سيطرت على الجزيرة العربية، وأي كان فيعدّ هذا شاهدًا على أن الزط اختلطوا بالعرب قبل الإسلام، وقد تشبهت بهم العرب في اللباس وقصرات الشعر، فقيل: حلق رأسه زُطِّيّة، أي: هو مثل الصَّلِيب كأَنه فِعْل الزُّطّ)[2]، والزُّطِّيَّة ضرب من الثياب المنسوبة إلى الزُّط[3]، كذا في كتب اللغة، ولكن لا نستطيع الجزم أن هذا كان قبل أو بعد الإسلام، إلا أنه يظهر جانبً من التأثير الاجتماعي بين العربوالزط.

٣. أثر قبائل الزط الهندية على الدولة الإسلامية في عهدي الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين

١,٣ أثرهم الاجتماعي في عهدي الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين:

ورد ذكر الزط في بعض الأحاديث النبوية والآثار عن الصحابة، وهذا دليل على أن الزط كانوا معروفين لدى المجتمعات الإسلامية في صدر الإسلام، وأنهم قد اختلطوا بالمسلمين والمجتمعات العربية، فشاركوا معهم الأفراح والأحزان والسلم والحرب، وهذه الأحاديث النبوية والآثار على النحو الآتي:

١. عن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: قال ﷺ: «**رَأَيْتُ عِيسَى ومُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ، فَأَمَّا عِيسَى فَأَحْمَرُ جَعْدٌ عَرِيضُ الصَّدْرِ، وَأَمَّا مُوسَى**

(١) التنبيه والإشراف للمسعودي (ص٣٢٣).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٣٠٢/٢)، لسان العرب لابن منظور (٣٠٨/٧).

(٣) المعجم العربي لأسماء الملابس لرجب عبد الجواد (ص٢٠٩).

فَآدَمُ جَسِيمٌ سَبْطٌ، كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ الزُّطِّ»[1]، ورواية في عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن النبي ﷺ ذكر ليلة أسري به فقال: «**مُوسَى آدَمُ، طُوَالٌ، كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ**»[2][3].

وهذا حديث صحيح لا نقاش في صحته، وفيه دلالة كافية على مدى التأثير الحاصل من اختلاط الزط بالعرب، فتشبيه النبي ﷺ نبي الله موسى -عليه السلام- بالزط يعكس لدينا أن صفات الزط الاجتماعية كانت معلومة عند النبي ﷺ والصحابة ﷺ، أي: أنها كانت مألوفة ومعروفة عند العرب قبل الإسلام.

٢. عن عبد الله بن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ ليلة الجن خط حوله، فكان يجيء أحدهم مثل سواد النخل، وقال لي: «**لَا تَبْرَحْ مَكَانَكَ**»، فأقرأهم كتاب الله -عز وجل-، فلما رأى الزط، قال: كأنهم هؤلاء[4]، وفي رواية لأحمد: «**طوالاً قليلٌ لَحْمُهُم**»[5]، وفي رواية الطبراني: «**فإذا رجال سود كأنهم رجال الزط، قال: وكانوا كما قال الله -عز وجل-: ﴿كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾** [سورة: الجن، آية رقم: ١٩]»[6]، وفي رواية البزار: أنه نظر إلى ناس من الزط، فقال: (**هؤلاء أشبه من رأيت بالجن**»، يعني ليلة الجن[7]، وفي رواية الفاكهي: (**يَمْشُونَ يَقْرَعُونَ فِي دَفُوفِهِمْ كَمَا تَقْرَعُ**

(١) صحيح البخاري، (١٢٦٩/٣)، برقم (٣٢٥٥).

(٢) شَنُوءَةَ: بطن من الأزد، من القحطانية في اليمن. معجم البلدان للحموي (٣٦٨/٣).

(٣) صحيح البخاري، (١٢٤٣/٣)، برقم (٣٢١٤)، صحيح مسلم، (١٥٤/١)، برقم (١٦٨).

(٤) مسند أحمد، مسند، مسند عبدالله بن مسعود ﷺ، (٣٦٧/٧)، برقم (٤٣٥٣).

(٥) المصدر نفسه، (٣٣٢/٦)، برقم (٣٧٨٨).

(٦) المعجم الكبير للطبراني، باب العين، (٦٦/١٠)، برقم (٩٩٦٨).

(٧) البحر الزخار للبزار، مسند عبدالله بن مسعود ﷺ، (٢٦٦/٥)، برقم (١٨٨٠).

النُّسُورُ فِي دَفُوفِهَا)، إلى قوله: (**كَأَنَّهُمْ رِجَالُ الزُّطِّ، وَكَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الْمَكَاكِيُّ**[1][2]) ، وعند ابن إسحاق:)قدم عبد الله الكوفة فرأى أناسًا من الزط ففزع منهم، فقال: ما هؤلاء؟ فقيل الزط، فقال: (**هؤلاء أشبه من رأيت بالجن الذين أقراهم رسول الله ﷺ**) [3].

ويمكن تلخيص صفات الزط الاجتماعية من خلال ما تقدم في الآتي:

الصفة الأولى: السمرة إلى السواد، ويدل عليها لفظ: (**فَآدَمُ**)، ومعنى آدم في اللغة:)اشتقاقه من أَدِيم الأَرْض لِأَنَّهُ خُلِق من تُراب، وَكَذَلِكَ الأُدْمَةُ إِنَّمَا هِيَ مُشَبَّهة بلون التُّراب)[4]، والمراد: أنه أسمر كأحسن ما يُرى[5].

الصفة الثانية: الطول والنحافة، ويدل عليها لفظ: (**جَسِيمٌ**)، والجسامة تكون)باعتبار السمن، وتكون أيضًا باعتبار الطول فمعناه طوال)[6]، ولكن المراد بالجسمانية هنا الطول؛ لأن هذا جاء مفسرًا في حديث ابن مسعود أن النبي ﷺ ذكر ليلة أسري به فقال: (**مُوسَى آدَمُ، طُوَالٌ، كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ**)[7]، وإذا كانت الجسامة هنا تعود إلى الطول فهي تعني الطول مع النحافة كما في رواية لأحمد: (**طوالاً قليلٌ لَحْمُهُم**).

(١) الْمَكَاكِيُّ: جمع مَكُوك، طَاسٌ يُشْرَبُ فِيهِ أَعلاه ضَيِّقٌ وَوَسَطُهُ وَاسِعٌ. لسان العرب لابن منظور (٤٩١/١٠).

(٢) أخبار مكة للفاكهي (٢٢/٤)، برقم (٢٣١٩).

(٣) السير والمغازي لابن إسحاق (ص٢٧٥).

(٤) تهذيب اللغة للأزهري (١٥١/١٤).

(٥) إرشاد الساري للقسطلاني (٥/ ٤١٤).

(٦) الكواكب الدراري للكرماني (٨٢/١٤).

(٧) صحيح البخاري، (١٢٤٣/٣)، برقم (٣٢١٤)، صحيح مسلم، (١٥٤/١)، برقم (١٦٨).

الصفة الثالثة: ليس شعرهم بَجعد، ويدل عليها لفظ: (**سَبْطٌ**)، ومعناه في اللغة: مسترسِلٌ غير جعدٍ[1].

الصفة الرابعة: (**كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الْمَكَاكِيُّ**)، وهو تشبيه يحتمل رجوعه إلى الزط، ويحتمل رجوعه إلى الجن، فإن صح الاحتمال الأول اعتبر ذلك صفة أخرى للزط، وأما على الاحتمال الثاني فالواو عاطفة على استئناف صفة جديدة للجن لا للزط، إلا أن الاحتمالين مردهما إلى اعتبار هذه صفة أخرى للزط، ويؤيد هذا إطلاق عبد الله بن مسعود ﵁ تشبيه الجن بالزط، وهو إطلاق يُرجع الاحتمالين إلى ما قلنا، وهذه الصفة تتعلق بالوجه حيث شُبهت بنوع من المكاييل.

الصفة الخامسة: (**يَمْشُونَ يَقْرَعُونَ فِي دَفُوفِهِمْ كَمَا تَقْرَعُ النُّسُورُ فِي دَفُوفِهَا**)، وهذا الصفة موجودة لدى الزط؛ فقد اشتهروا بالغناء والطرب، كم تقدم من استقدام ملك فارس لهم لهذا الغرض، وسيأتي أنهم استقبلوا محمد بن القاسم الثقفي بالدفوف والطبول، وقرعوا الأجراس فرحة هاتفة مرحبة به، وقد استمرت هذه العادة معهم إلى العصور المتأخرة.

ووصْفُ النبي ﷺ موسى -عليه السلام- بتلك الصفات ثم تشبيهه بالزط دليل على أن صفات الزط السمرة والطول وسبوطة الشعر، وهذا الصفات المذكورة في الحديث أو في الأثر عن ابن مسعود ﵁ فيها إشارة إلى ظاهرة اجتماعية، وهي أن شخصية الزط كانت حاضرة في أذهان العرب والمسلمين، وأنها كانت محل إعجاب، ومتداولة في أوساط المجتمعات العربية والإسلامية لا تحتاج إلى البحث والسؤال عنها، وتُظْهِر

(١) الصحاح للجوهري (١١٢٩/٣).

إلى أي مدى اختلط الزط بالعرب حتى عرفوا صفاتهم الجسمانية وطباعهم ولباسهم وقصات شعرهم، وقلدوهم في بعضها، وتزاوجوا وتناسلوا، وتأثر بعضهم ببعض.

٣. روي أن عائشة -رضي الله عنها- أصابها مرض، وأن بعض بني أخيها ذكروا شكواها لرجل من الزط يتطبب، وأنه قال لهم: إنكم لتذكرون امرأة مسحورة سحرتها جارية لها في حجر الجارية الآن صبي قد بال في حجرها، فذكروا ذلك لعائشة، فقالت: (**ادْعُوا لِي فُلَانَةَ**) لجارية لها، فقالوا: في حجرها الآن صبي لهم قد بال في حجرها، فقالت: (**ائْتُونِي بِهَا**) فأتيت بها، فقالت: (**سَحَرْتِينِي؟**)، قالت: نعم، قالت: (**لِمَهْ؟**)، قالت: أردت أن أعتق، وكانت عائشة أعتقتها عن دبر منها، فقالت: (**إِنَّ لِلَّهِ عَلَيَّ أَنْ لَا تُعْتَقِي أَبَدًا، انْظُرُوا أَسْوَأَ الْعَرَبِ مَلَكَةً فَبِيعُوهَا مِنْهُمْ**)، واشترت بثمنها جارية فأعتقتها[١].

هذا الأثر الوارد يعد مستندًا قويًا للقول بأن قبائل الزط كانوا قد تعايشوا مع المجتمع العربي، وكان منهم الأطباء والمثقفين والمتعلمين، واستفاد بعضهم من خدمات بعض، فقد كان العرب وحتى والصحابة ﷺ يرجعون إلى من امتلك علمًا أو مهارة أو فنًا معينًا منهم دون قيود أو أنفة نفس أو استعلاء، بل أخذوا بأقوالهم وإرشاداتهم وتوجيهاتهم في قضايا الحياة.

فهذا الأثر يمكن الاعتماد عليه لتقرير بعض الأمور الاجتماعية والفكرية، ومنها:

أ. أن عائشة -رضي الله عنها- زوجة سيد الخلق ﷺ كانت قد

---

(١) سنن الدارقطني (٢٤٦/٥)، برقم (٤٢٦٧)، المستدرك على الصحيحين للحاكم (٢٤٤/٤)، برقم (٧٥١٦).

أخذت بأقوال وتوجيهات الطبيب الزطي، وتأكدت مما قاله، وتبين لها أن كلامه كان صحيحًا باعتراف الأمة أنها سحرتها.

ب. أن المجتمع الإسلامي ترك الحرية المطلقة لكل المكونات الوافدة إلى الجزيرة العربية في ممارسة نشاطها الاجتماعي والعلمي والاقتصادي، حتى ظهر منهم الأطباء والعلماء والقادة والعسكريون وذوو الخبرة الاقتصادية، وترك لهم حرية التكسب والانتماء القبلي، فهذا الطبيب الزطي كان قد اكتسب خبرته في الطب في هذا المجتمع العربي، وكان يتكلم بلغة القوم، وترك لهم حرية الدين والمعتقد، فكان منهم المسلمون ومنهم الكفار.

ج. أن عهد الزط في الأوساط العربية كان طويلاً يمتد إلى ما قبل الدعوة الإسلامية؛ لأن اكتساب اللغة والطب والشهرة التي اكتسبوها تحتاج لعمر طويل من الاستقرار.

د. أن هذا الطبيب الزطي كان مسلمًا، ويستفاد ذلك من خلال السياق العام؛ لأن الصحابة الكرام ﭫ لا يمكن لهم أن يبنوا أحكامهم على أقوال الكفرة والمشركين والمشعوذين والسحرة، يضاف إلى ذلك أن عرض الطبيب الزطي للحديث عن المسحورة والساحرة يدل على إنكاره السحر، ففيه تعريض جلي بمقت السحر والساحرة.

٤. عن سديس العدوي في قصة فتح الأُبُلَّة[1] من بلاد فارس قوله: **(وكان فيمن أصبنا أناس من الزط يتشبهون بالعرب: يوفرون لحاهم، ويأتزرون، ويحتبون في مجالسهم)**[2].

---

(١) الأُبُلَّة: بضم الهمزة والباء وتشديد اللام بلد معروف قرب البصرة من جانبها البحري. رحلة السيرافي (ص٣).

(٢) مصنف ابن أبي شيبة (٦٤/١٩)، برقم (٣٦٠٨٩).

سيأتي الحديث عن هذه القصة مفصلاً عند الكلام عن أثر الزط السياسي والاقتصادي، وما يهمنا هنا هو الحديث عن الآثار الاجتماعية، حيث تحدثنا هذه القصة عن جملة من صفات الزط الاجتماعية، وهي صفات سائدة عند العرب والمسلمين، ومنها:

الصفة الأولى: (**يوفرون لحاهم**)، أي يرسلون شعر لحاهم ويطلقونها، وهي عادة من عادات العرب قبل الإسلام وبعده، وقد أقرها الإسلام، ودعا إليها، وعدها من سنن الفطرة، كما في حديث عائشة -رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله ﷺ: (**عَشْرٌ مِنَ الْفِطْرَةِ: قَصُّ الشَّارِبِ، وَإِعْفَاءُ اللِّحْيَةِ، وَالسِّوَاكُ، وَاسْتِنْشَاقُ الْمَاءِ، وَقَصُّ الأَظْفَارِ، وَغَسْلُ الْبَرَاجِمِ، وَنَتْفُ الإِبِطِ، وَحَلْقُ الْعَانَةِ، وَانْتِقَاصُ الْمَاءِ**)[1].

الصفة الثانية: (**يأتزرون**)، وهذا اللفظ يصف لباسهم، وهو لبس الإزار، وهو من الألبسة المعروفة عند العرب، بل كان الأغلب من عادة سائر العرب لبس الإزار والرداء[2]، وقد جاء الإسلام وهذب من لباس العرب، فحرم ما أسفل منه الكعبين: ففي الحديث ﷺ: (**مَا أَسْفَلَ مِنَ الْكَعْبَيْنِ مِنَ الْإِزَارِ فَفِي النَّارِ**)[3].

الصفة الثالثة: (**يحتبون في مجالسهم**)، والاحتباء صفة لهيئة من هيئات الجلوس، وهو أن يجمع ظهره ورجليه بثوب[4]، وقد نهى النبي ﷺ (**أَنْ يَحْتَبِيَ الرَّجُلُ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، لَيْسَ عَلَى فَرْجِهِ مِنْهُ شَيْءٌ**)[5]،

(١) صحيح مسلم (١/٢٢٣)، برقم (٢٦١).

(٢) طرح التثريب للعراقي (٣/٢٨١).

(٣) صحيح البخاري (٥/ ٢١٨٢)، برقم (٥٤٥٠).

(٤) جمهرة اللغة لابن دريد (٢/ ١٠١٧).

(٥) صحيح البخاري (١/ ١٤٤)، برقم (٣٦٠)، صحيح مسلم (٣/١٦٦١)، برقم (٢٠٩٩).

والاحتباء إحدى عادات العرب في الجلوس، وهي لهم خاصة كما قال الزمخشري[1]، وقوله هذا يثير بعض التساؤلات؛ لأن المسلمين لما فتحوا الأُبُلَّة وجدوا الزط يلبسون الإزار، وهذا يحتمل أحد أمرين:

الاحتمال الأول: أن هذا يُعدُّ من عادات الزط الأصيلة، وقد نقلوها معهم إلى بلاد فارس وغيرها؛ لأن هذا اللباس مشهور في بلاد الهند والسند، ولما وجد المسلمون الزط على نفس لباس العرب استغربوا؛ لظنهم أنها من عادات العرب فقط، ولم يكن لهم علم أنها من لباس الهند أيضًا، ويؤيد هذا الاحتمال قوله: (**يتشبهون بالعرب**) إذا فُسِرت بمعنى يشبهون.

الاحتمال الثاني: أن الزط قلدوا العرب في لُبْسِ الإزار، أي أنهم قد أخذوها عن العرب، ويؤيد هذا الاحتمال قوله: (**يتشبهون بالعرب**) بمعنى يقلدون العرب، ويزيد هذا الاحتمال قوة أن مدينة الأُبُلَّة قريبة من بلاد العرب، وهذا يعني أنهم كانوا يختلطون بالعرب، وتأثروا بهم، فتشبهوا بلباسهم وهيئة الجلوس وترك شعر اللحى.

٢,٣ أثرهم الفكري والعقائدي في عهد الخلفاء الراشدين:

لم تمدنا المصادر التاريخية عن حياة قبائل الزط الفكرية والعقدية ممن سكنوا واستوطنوا في ربوع الجزيرة العربية إبان عهد النبي ﷺ، إلا أنه من خلال بعض القصص والأحداث نستطيع أن نصل إلى بعض المعلومات حول عقائدهم وأفكارهم في عهد الخلفاء الراشدين، ومن ذلك ما جاء عن أنس رضي الله عنه أن عليًا رضي الله عنه أتي بناس من الزط يعبدون وثنًا، فحرقهم بالنار، فقال ابن عباس: إنما قال رسول الله ﷺ:

(١) الفائق في غريب الحديث للزمخشري (٢٥٧/١).

(مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ)[١].

وفي بعض المصادر التاريخية[٢]: أن عليًا رضي الله عنه لما فرغ من قتال أهل البصرة أتاه سبعون رجلاً من الزط الذين ادعوا الربوبية فيه فسلموا عليه، وكلموه بلسانهم فرد عليهم بلسانهم، وقال لهم: إني لست كما قلتم أنا عبد الله مخلوق، قال: فأبوا عليه، وقالوا له: أنت أنت هو، فقال لهم: لئن لم ترجعوا عما قلتم فِيِّ وتتوبوا إلى الله تعالى لأقتلنكم، فأبوا أن يرجعوا أو يتوبوا، فأمر أن يحفر لهم آبارا فحُفرت ثم خرق بعضها إلى بعض، ثم قذفهم فيها ثم طم رؤوسها، ثم ألهب النار في بئر منها ليس فيها أحد فدخل الدخان عليهم فماتوا، وكان قنبر يحمل الرجل بعد الرجل على منكبه فيقذفه في النار، ثم قال:

إني إذا أبصرت أمرًا منكرًا أوقدت نارًا ودعوت قنبرًا

ثم احتفرت حفرًا فحفرًا وقنبر يحطم حطمًا منكرًا

وقعت هذه الحادثة في عهد الصحابة، وتحديدًا في خلافة الإمام علي رضي الله عنه، ويمكن الأخذ ببعض إيحاءات هذه الحادثة وإشاراتها لمعرفة بعض أفكار الزط وعقائدهم، ومن ذلك:

١،٢،٣ أن قبائل الزط التي سكنوا الجزيرة العربية لم يكونوا على قلب رجل واحد في الدين والفكر والمعتقد، وأن اختلاطهم بالعرب لم يكن كاف لتحفيزهم في البقاء على عقيدة واحدة، وعلى الرغم من أن

---

(١) مسند أحمد (١١٩/٥)، برقم (٢٩٦٦)، سنن النسائي (١٠٥/٧)، برقم (٤٠٦٥).

(٢) معرفة أخبار الرجال للكشي (ص٧١-٧٢)، التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن الملقن (١٣٣/٣١).

اختلاطهم بالعرب والمسلمين قد أثر في طباعهم وعاداتهم ولباسهم ولغتهم إلا أنهم كانوا متفرقين في الدين، فمنهم المسلمون كالطبيب الذي عالج عائشة والزط الذي وقفوا في حراسة عثمان ومن كان مع الإمام علي وعلى رأسهم أبو سالمة الزطي، وكان منهم الوثنيون.

٢,٢,٣ أن هؤلاء الزط الذين عبدوا وثنًا في خلافة الإمام علي رضي الله عنه ارتدوا بعد إسلامهم، ويؤيد هذا ما جاء عن عكرمة: (أن عليًا أخذ ناسًا ارتدوا عن الإسلام، فحرقهم بالنار)[١]، فرفع خبرهم إلى القيادة الأعلى في الدولة الإسلامية، فتم استتابتهم فاستمروا على غيهم في الشرك والوثنية، فأنزل عليهم الإمام علي حكم المرتد، والحكم بإحراقهم كان قائمًا على الرأي والاجتهاد؛ إذ لم يرد نص بالإحراق[٢].

٣,٢,٣ أن هؤلاء الزط قد أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر، وهذه صفة النفاق، ويؤيده ما جاء في مصنف ابن أبي شيبة: كان أناس يأخذون العطاء ويصلون مع الناس، وكانوا يعبدون الأصنام في السر، فأتي بهم علي بن أبي طالب فوضعهم في المسجد، أو قال: في السجن، ثم قال: (**يا أيها الناس ما ترون في قوم كانوا يأخذون معكم العطاء والرزق ويعبدون هذه الأصنام؟**) قال الناس: اقتلهم، قال: «**لا، ولكن أصنع بهم كما صنعوا بأبينا إبراهيم، فحرقهم بالنار**»[٣]، فهذه الرواية بينت أن القوم تستروا بالإسلام وأبطنوا الشرك والكفر، وتعاملوا بخبث لخداع المسلمين والدخول إلى أوساطهم، ولم يحرقهم أمير المؤمنين بمجرد عبادة

---

(١) مسند أحمد (٣٣٦/٤)، برقم (٢٥٥٢).

(٢) الهداية في تخريج أحاديث البداية للغُمَارِي (٢٠٠/٤)، الجامع الكامل للضياء (٥٧٧/٦).

(٣) مصنف ابن أبي شيبة (٣٨٥/١٨)، برقم (٣٥٣٦٥).

الأوثان، وإنما ارتدوا فطبق فيهم حكم المرتد، ويشهد لهذا حادثة مشابهة ذكرها ابن أبي شيبة جاء فيها: (بعث علي محمد بن أبي بكر أميرًا على مصر، فكتب محمد إلى علي يسأله عن زنادقة منهم من يعبد الشمس والقمر، ومنهم من يعبد غير ذلك، ومنهم من يدعي الإسلام فكتب علي وأمره بالزنادقة أن يقتل من كان يدعي الإسلام، ويترك سائرهم يعبدون ما شاءوا)[1].

٤,٢,٣ أن حرق الزط لم يكن وهم أحياء، بل قتلوا ثم حرقت أجسادهم بلا روح، وفي هذا يقول الشعبي: شهدت عليًا أتي بناس من الزط قد ارتدوا عن الإسلام أو زنادقة، فأمر بهم علي فضربت أعناقهم وحرق أجسادهم، ثم قال: **(صدق الله ورسوله، صدق الله ورسوله)**[2]، وهذه الرواية أحسن في حمل الحادثة؛ لأنه لم يحرقهم والروح فيه فيكون معذبًا بعذاب الله تعالى[3].

ومما لا شك فيه أن هذه الحادثة والحكم عليها قد فجَّر صراعًا فكريًا وصل إلى أعلى المستويات في الدولة الإسلامية، ويتلخص هذا التأثير الجدلي والفكري في الآتي:

أ. انتشر خبر إحراق الزط في المجتمعات الإسلامية، وانتقل من مدينة إلى أخرى، وفجر صراعًا فقهيًا ونقاشًا جدليًا بين الصحابة الكرام مصحوبًا بالأدلة والبراهين، فقد وصل الخبر إلى مدينة البصرة التي كان على إمارتها الصحابي عبد الله عباس -رضي الله عنهما- فقال: «لو كنت أنا لم أحرقهم، إن رسول الله ﷺ، قال: **(لَا تُعَذِّبُوا بِعَذَابِ الله- عز وجل-**

(١) المصدر نفسه (٤٩/١٦)، برقم (٣٠٩٥٠).

(٢) الأوسط في السنن والإجماع والاختلاف لابن المنذر (٤٩٨/١٣).

(٣) مسائل الإمام أحمد وإسحاق بن راهويه للكوسج (٧/ ٣٧٥٦).

أَحَدًا)، وقال رسول الله ﷺ: «**مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ**)، فبلغ عليًا قول ابن عباس، فقال: ويح ابن أم ابن عباس[1]، فوصول الخبر إلى البصرة واعتراض ابن عباس ووصول اعتراضه إلى الكوفة مرة أخرى وانتقاد الإمام علي بن أبي طالب على اعتراض ابن عباس، بقوله: (**ويح ابن أم ابن عباس)** محتمل أنه لم يرض بما اعترض به، ورأى أن النهي للتنزيه)[2]، كل ذلك يعكس أن الحديث في المجتمع الإسلامي عن النازلة وحكمها أخذ قدرًا كبيرًا من النقاش.

ب. أن أئمة المسلمين وخلفائهم لم يكونوا مستبدين بالأمر والحكم والفقه، فانتقاد ابن عباس أمير المؤمنين يبرز لنا الساحة الثقافية التي كان الصحابة الكرام يتمتعون بهذا، بدءًا بابن عباس لمَّا بلغه الخبر لم يسكت أمام ذلك الحدث الذي أثر في قلبه فأنكره بأسلوب علمي رصين مستندًا إلى الدليل الشرعي، وبيَّن أن ذلك الحكم بالإحراق لم يكن سليمًا؛ لأن الأمر الوارد عن النبي ﷺ بالقتل لا يعني الإحراق، ومع الاعتراض الصريح لم نسمع أن أمير المؤمنين عزل ابن عباس، بل على العكس ورد في بعض المصادر التاريخية أن الإمام علي لما بلغه حديث ابن عباس استحسنه ورجع إليه، إلا أن السندي لا يسلم برجوع الإمام علي كما دلت عليه الروايات السابقة من اعتراضه على ابن عباس[3]، والأهم من هذا كله يرجع إلى الحرية الفكرية والثقافية والعقيدية التي كانت تتمتع بها المجتمعات الإسلامية.

---

(١) مسند أحمد (٣٣٦/٤)، برقم (٢٥٥٢).

(٢) فتح الباري لابن حجر (٢٧١/١٢).

(٣) حاشية السندي على سنن النسائي (١٠٥/٧)، الهداية في تخريج أحاديث البداية للغُمَارِي (٢٠٠/٤).

وخلاصة القول: أن الحياة الفكرية والعقدية للزط في عهد النبي ﷺ والصحابة الكرام لم تكن محل إجماع بين الزط أنفسهم، فمنهم المسلمون والقادة، ومنهم المنافقون والخونة، ومنهم من بقي على كفره وشركه، إلا أن جماعات كبيرة منهم دخلوا في الإسلام وقاتلوا مع المسلمين في الفتوحات الإسلامية في بلاد فارس كما سيأتي الكلام عند الحديث عن حياتهم الاقتصادية والسياسية والعسكرية، والجدير بالذكر أن حادثة إحراقهم قد أحدثت خلافًا فقهيًا بين الصحابة في ذلك العهد وامتد إلى القرون اللاحقة.

٣,٣ أثرهم السياسي والاقتصادي في عهد الخلفاء الراشدين:

لم يكن للزط أثر سياسي في عهد النبي ﷺ، إلا أنهم بعد موته ﷺ ظهرت لهم مواقف سياسية وعسكرية واقتصادية، بدءًا من حروب الردة مرورًا بالفتوحات الإسلامية وحتى زمن الفتنة التي وقعت بين الصحابة بعد مقتل عثمان والحروب التي نشأت بينهم، وعليه فيمكن الحديث عن أثر الزط السياسي والاقتصادي في عهد الخلفاء الراشدين من خلال المواضيع الآتية:

١,٣,٣ دورهم في حروب الردة:

كان من أبرز أدوار الزط السياسية والعسكرية المشاركة في حروب الردة، فقد اندفعوا نحو المسلمين شاهرين السلاح مع المرتدين، ويعد هذا أول خروج عسكري لهم في وجه الدولة الإسلامية، لكن ليس بانفرادهم، وإنما مع جموع المرتدين.

فبعد موت النبي ﷺ خرج الْحُطَمُ بْنُ ضُبَيْعَةَ أخو بني قيس بْن ثعلبة فيمن اتبعه من بكر بْن وائل على الردة، ومن تأشب إليه من غير المرتدين

ممن لم يزل كافرًا، حتى نزل القطيف وهجر، واستغوى الخط ومن فيها من الزط والسيابجة، وبعث بعثًا إلى دارين[1]، فأقاموا له ليجعل عبد القيس بينه وبينهم، وكانوا مخالفين لهم، يمدون المنذر والمسلمين، وأرسل إلى الغرور -واسمه عفيف- أخي النعمان بْن المنذر، فبعثه الى جواثى، وقال: اثبت، فإني إن ظفرت ملكتك بالبحرين حتى تكون كالنعمان بالحيرة وبعث إلى جواثى، فحصرهم وألحوا عليهم فاشتد على المحصورين الحصر والجوع، فقال عبد اللَّه بْن حَذَف وقد اشتد عليهم الجوع حتى كادوا أن يهلكوا:

ألا أبلـــغ أبـــا بكـــر رســـولاً ... وفتيـــان المدينـــة أجمعينـــا

فهـــل لكـــم إلـــى قـــوم كـــرام ... قعـــود فـــي جـــواثى محصـــرينا

كـــأن دمـــاءهم فـــي كـــل فـــج ... شـــعاع الشـــمس يغشـــى الناظرينـــا

توكلنـــا علـــى الـــرحمن إنـــا ... وجـــدنا الصـــبر للمتوكلينـــا

وقد استنقذهم العلاء بن الحضرمي ﷺ في لواء عقده أبو بكر ﷺ في المدينة ووجهه إلى البحرين، فلما كان بحيال اليمامة لحق به ثمامة بن أثال الحنفي في مسلمة بني حنيفة، ولحق به أيضًا قيس بن عاصم المنقري، وانضم إليه عمرو والأبناء وسعد بن تميم، وَالرَّبَابُ أيضًا لحقته في مثل عدته، فحاصروا المرتدين وهزموا، فقتل الحطم وأسر الغرور فأسلم، وقصد عُظْمُ الْفُلَّالِ إلى دارين، فركبوا إليها السفن، ولحق

(١) دارين: قرية أو جزيرة من شرق السعودية بالقرب من القطيف. المعالم الأثيرة لشُرَّاب (ص١١٥).

الباقون ببلاد قومهم[1].

وفي هذا الحادثة تستوقفنا بعض الأمور المتعلقة بالزط والسيابجة، ومن ذلك:

١. أن مشاركة الزط والسيابجة في هذه المعركة، يمثل أول ظهور عسكري لهم بأعداد كبيرة ضد المسلمين.

٢. أن مشاركتهم لم تكن على عقيدة، ولا لهدف سياسي يسعون إليه، وإنما كان بدافع جمع المال، ويفهم هذا من قول المؤرخين: (**واستغوى الخط ومن فيها من الزط والسيابجة**).

٣. أن معظم الزط والسيابجة ومن معهم من المرتزقة الذين شاركوا في هذه المعركة قد فروا عبر السفن ولحقوا ببلاد قومهم، ولم يلتحقوا بالإسلام ولا بقوا في الجزيرة العربية، والقول بأن الزط التحقوا ببلادهم لا يمكن البناء عليه للجزم برجوعهم إلى الهند، فقد يكونوا رجعوا إلى بلاد فارس حيث جماعات كثيرة منهم فيها.

٢,٣,٣ أثر الزط والسيابجة في الفتوحات الإسلامية:

مثلت الفتوحات الإسلامية إحدى نقاط التحولات الكبيرة على الشعوب الإسلامية والشعوب التي دخلتها الفتوحات، وتقابل المسلمون مع الزط في مواقع كثيرة، أهمها في الأحداث الآتية:

الحدث الأول: أسرى الزط والأساورة في الأهواز:

عن سديس العدوي قال: غزونا مع الأمير الأُبلّة، فظفرنا بها ثم انتهينا إلى الأهواز، وبها ناس من الزط والأساوره فقاتلناهم قتالًا شديدًا،

(١) تاريخ الرسل والملوك للطبري (٣/٣٠٤)، الكامل في التاريخ لابن الأثير (٢/٢٢٢).

فظفرنا بهم وأصبنا سبيًا كثيرًا فاقتسمناهم، فأصاب الرجل الرأس والاثنين، فوقعنا على النساء، فكتب أميرنا إلى عمر بن الخطاب بالذي كان، فكتب إليه: إنه لا طاقة لكم بعمارة الأرض، خلوا ما في أيديكم من السبي، ولا تُمَلِّكُوا أحدًا منهم أحدًا، واجعلوا عليهم من الخراج قدر ما في أيديهم من الأرض فتركنا ما في أيدينا من السبي، فكم من ولد لنا غلبه الْهِمَاسُ[1]؟ وكان فيمن أصبنا أناس من الزط يتشبهون بالعرب يوفرون لحاهم ويأتزرون ويحتبون في مجالسهم، فكتب فيهم إلى عمر، فكتب إليه عمر: أن أدنهم منك، فمن أسلم منهم فألحقه بالمسلمين، فلما بلوا بالناس لم يكن عندهم بأس، وكانت الأساورة أشد منهم بأسًا، فكتب فيهم إلى عمر فكتب إليه عمر: أن أدنهم منك فمن أسلم منهم فألحقه بالمسلمين، فلما بلوا بالناس لم يكن عندهم بأس، وكانت الأساورة أشد منهم بأسًا[2].

وفي هذه القصة فوائد ولطائف كثيرة حول تاريخ الزط والسيابجة وصفاتهم وعاداتهم وسبب مجيئهم إلى المجتمعات العربية والإسلامية، وقد سبق الحديث عن صفاتهم وعاداتهم الاجتماعية، وبقي الكلام عن أثرهم السياسي والاقتصادي، ويتلخص من خلال النقاط الآتية:

١. أن الزط كانت لهم تجمعات كبيرة في بلاد فارس، وتقدم الحديث عن ذلك وسبب استقدامهم إلى بلاد فارس، ولهذا ندرك يقينًا أن المسلمين في هذه القصة خاصة قد أخذوا الزط من فارس لا من الهند؛ لأن الأبلة بلدة قريبة إلى العراق، ويعدّ هذا من أسباب تواجد قبائل الزط

(١) الهماس: الشديد الغمز بضرسه. شمس العلوم للحمير (٦٩٨٥/١٠).

(٢) مصنف ابن أبي شيبة (٦٤/١٩).

في جزيرة العرب والعراق منها خاصة هو الأسر والسبي، وهذا لا يقتصر على الرجال دون النساء.

٢. لم يكن هؤلاء الزط مسلمين حينها، إلا أنهم أسلموا فيما بعد كما سيأتي في الحدث الثاني، وعلى الرغم من بقائهم على دينهم إلا أن تعامل المسلمين معهم كان في قمة الرقي والتحضر وغاية اللطف والأخلاق، فلم يُكرهوا على الإسلام ولا على ترك دينهم؛ امتثالاً لتعاليم الإسلام الحنيف، يقول تعالى: ﴿**لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ**﴾ (البقرة: ٢٥٦).

٣. نال شأن أسرى الزط أهمية بالغة لدى قادة الجيش الإسلامي بقيادة أبي موسى الأشعري رضي الله عنه الذي رفع أمرهم إلى القيادة العليا في الدولة الإسلامية، فوصل خبرهم إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في المدينة المنورة، وهذا نابع عن أهمية الأمر ومرتبط أيضًا بأعدادهم وثقلهم في تلك البلاد، وقد تعامل أمير المؤمنين مع الخبر بعناية فائقة، وأصدر أوامره العليا، وتلخصت قرارته في أمرين، هما:

- **القرار الأول**: إطلاق سراح كل الأسرى، وألا يُملك أي منهم، وأن يضرب عليهم من الخراج قدر ما في أيديهم من الأرض، وهذا القرار لعامة الزط والأساورة والسيابجة، يحفظ لهم حريتهم الدينة والإنسانية، ويعاملوا بكل احترام.

- **القرار الثاني**: بتقريبهم من قيادة الجيش، طمعًا في إسلامهم، فمن أسلم منهم وجب إلحاقه بالمسلمين، ومن لم يسلم ترك على المعاملة السابقة المأمور بها، وهذا القرار يهدف إلى إعمال أساليب التأثير فيهم من خلال تقريبهم من قائد الجيش الإسلامي والتعامل معهم بلين طمعًا في إسلامهم، فإن دخلوا في الإسلام فلا جزية عليهم.

الحدث الثاني: نزول الزط في قبيلة بني تميم:

وهذا مرتبط بقصة الأساورة بقيادة سياه الأسواري الذين طلبوا الصلح حين رأوا طلائع الجيش الإسلامي تكسر جيوش فارس وتقتحم القلاح والحصون، وحين رأوا ظهور الإِسْلام وعز أهله وأن السوس -إحدى مدن الأهواز- قَدْ فتحت والأمداد متتابعة إِلَى أَبِي موسى ﷺ، فأرسل قائدهم إلى أبي موسى ما نصه: إنا قَدْ أحببنا الدخول معكم في دينكم عَلَى أن نقاتل عدوكم منَ العجم معكم، وعلى أنه إن وقع بينكم اختلاف لم نقاتل بعضكم مع بعض، وعلى أنه إن قاتلنا العرب منعتمونا منهم وأعنتمونا عليهم، وعلى أن ننزل بحيث شئنا منَ البلدان ونكون فيمن شئنا منكم، وعلى أن نلحق بشرف العطاء ويعقد لنا بذلك الأمير الَّذِي بعثكم، فرد عليه أبو موسى: بل لكم ما لنا وعليكم ما علينا، فرفضوا ذلك، فكتب أبو موسى بذلك إلى عمر بن الخطاب ﷺ، فأجابهم إلى ما التمسوا فخرجوا حتى لحقوا بالمسلمين وشهدوا مع أبي موسى حصار تستر، ثم فرض لهم في شرف العطاء، فلما صاروا إلى البصرة وسألوا أيّ الأحياء أقرب نسبًا إلى رسول الله ﷺ فقيل: بنو تميم فحالفوهم، ثم خطّطت خططهم فنزلوها وحفروا نهرهم المعروف بنهر الأساورة، فلما سمع السيابجة والزط من أمر الأساورة أسلموا وأتوا أَبَا موسى فأنزلهم البصرة كما أنزل الأساورة، ولما اجتمعت الأساورة والزط والسيابجة تنازعتهم بنو تميم، فرغبوا فيهم، فصارت الأساورة في بني سَعْد، والزط والسيابجة في بني حنظلة، فأقاموا معهم يقاتلون المشركين، وخرجوا مع ابن عامر إلى خراسان[1].

---

(١) فتوح البلدان للبلاذري (ص٣٦٢-٢٦٤)، معجم البلدان للحموي (٣١٧/٥).

ومن هذه القصة ترتسم لنا جوانب من حياة الزط لها علاقة بالحياة السياسية والعسكرية والاقتصادية تتمثل في الآتي:

١. أن التفاوض الذي أدى لدخول الأساورة الإسلام بعد قبول شروطهم وحصولهم على ميزات عظيمة من قيادة الدولة الإسلامية كان عاملاً رئيسًا ودافعًا للزط والسيابجة لدخولهم الإسلام والاختلاط بالقبائل العربية، وقد استفاد المسلمون من تلك القوى العسكرية الكبيرة في زيادة صفوف القوة العسكرية، والاستفادة من خبراتهم ومعرفة بتلك البلاد وطرقها.

٢. أن الأساورة كانوا أقوى شأنًا من الزط والسيابجة كما في حديث سديس العدوي، ويرجع سبب ذلك إلى أن الأساورة من أهل فارس أصحاب الأرض، فالدفاع عنها والقتال دونها تفرضه الجبلة الخَليقة التي فطر الإنسان عليها بحبه لوطنه وبلده، بخلاف الزط والسيابجة، فقد كانوا دخلاء على المجتمع الفارسي أو مرتزقة لا أرض لهم، جلبوهم إما للغناء أو للقتال ضد خصومهم، واستخدموهم في حروبهم ضد المسلمين، ولذا لما وضعت الحرب أوزارها دخلوا في الإِسْلام.

٣. أن الدوافع الاقتصادية كانت وراء انتقال الزط والسيابجة إلى بلاد فارس، ولذا وصفهم العيني بقوله: (وكذا عمر ﷺ لما فتح سواد العراق قَبِل هو وعماله إيمان من كان بها من الزط والأنباط وهما صنفان من الناس مع قلة أذهانهم وبلادة أفهامهم وصرفهم أعمارهم في الفلاحة وضرب المعاول وكري الأنهار والجداول)[1].

(١) عمدة القاري للعيني (١٠٧/١).

٤. أن الأساورة والزط والسيابجة شاركوا بشكل مباشر في الفتوحات الإسلامية في بلاد فارس وخراسان وسجستان وكرمان ومكران والسند بعد استقرارهم في بني تميم من البصرة، كما اشتركوا مع المسلمين في الأعمال الاقتصادية والمصرفية والحسابات، وأسندت لهم أعمال أخرى كالحراسة كما سيأتي في المواضيع الآتية.

٣,٣,٣ أثرهم في عهد عثمان ﷺ ودفاعهم عنه:

تجدر الإشارة إلى أن الفتوحات الإسلامية تمددت شرقًا وغربًا، ففي عهد عثمان بن عفان فكر بفتح بلاد الهند والسند، فولى عبد الله بن عامر بن كريز العراق وكتب إليه يأمره أن يوجه إلى ثغر الهند من يعلم علمه وينصرف إليه بخبره، فوجه حكيم بن جبلة العبدي، فلما رجع أوفده إلى عثمان فسأله عن حال البلاد فقال: يا أمير المؤمنين قد عرفتها وتنحرتها، قال فصفها لي، قال: مَاؤُهَا وشل ولصها بَطل وسهلها جبل إِن كثر بهَا الْجند جَاعُوا وَإِن قلوا ضَاعُوا، فقال له عُثْمَان: أخابر أم ساجع، قَالَ: بل خابر فلم يغزها أحدًا، حتى عهدي علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان[١]، وسيأتي الحديث عن ذلك موضعه.

تولى عثمان بن عفان رضي الله عنه الخلافة وواصلت الفتوحات الإسلامية طريقها في عهده، لكن واجهته في أواخر عهده بالخلافة أحداث وفتن ظهرت في عمل عسكري قاده عبد الله بن سبأ اليهودي الذي جمع جيشًا كبيرًا ووجهه إلى عاصمة الدولة الإسلامية -المدينة المنورة- استطاع أن يقتحم المدينة المنورة ويحاصر أهلها، وشدد حصاره على خليفة المسلمين، وطلبوا منه أن يخلع نفسه عن الخلافة فرض[٢].

(١) تاريخ خليفة بن خياط (ص١٨٠)، فتوح البلدان للبلاذري (ص٤١٦).

(٢) الفتنة ووقعة الجمل للتميمي (ص٤٨- ٧٣)، تاريخ خليفة بن خياط (ص١٦٨).

ودارت على أبواب منزلة معارك كر وفر بين المهاجمين والمدافعين من شباب الصحابة كعبد الله بن الزبير ومحمد بن طلحة ومروان بن الحكم وسعيد بن العاص والحسن بن علي وغيرهم من أبناء الصحابة رضي الله عنهم[1]، ومعهم مجموعة من الزط الذين كانوا يتولون الحراسة، وقد قاتلوا قتالاً شديدًا وأظهروا بسالة وشجاعة حتى قتل الزط جميعًا على باب الخليفة رضي الله عنه قبل استشهاده[2].

ومن خلال هذا الحدث الذي ظهر فيه الزط في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه وأثناء الاعتداء الغاشم عليه، يتجلى دور الزط السياسي في الآتي:

١. أن بعض حراسة الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه كانوا من قبائل الزط، وهذا الدور يبرز لنا مدى التأثير الذي وصل إليه الزط في المجتمع الإسلامي حتى نالوا الثقة في اختيارهم حراسًا لأعلى شخصية في الدولة الإسلامية.

٢. أن الزط كانت لديهم مهارة عالية في الدفاع والحرب، والاستعداد للتضحية في سبيل المهمة الموكلة لهم، وهذه من صفات الحراسة الشخصية.

٤,٣,٣ أثرهم ودورهم الاقتصادي والعسكري في جيش علي رضي الله عنه:

تولى الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه الخلافة في أيام الفتنة التي عصفت بالمسلمين، ونقل مقر الخلافة إلى الكوفة، وخرجت عائشة بجموع من المقاتلين على رأسهم طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام رضي الله عنهم

(١) الفتنة ووقعة الجمل للتميمي (ص٦٨)، تاريخ الرسل والملوك للطبري (٣٨٨/٤).
(٢) موسوعة التاريخ الإسلامي للطرازي (٣٤٤/١).

يريدون القصاص من قتلة عثمان بن عفان ﷺ، فلما انتهوا إلى البصرة وجدوا في جيش الإمام علي طالب جموع من الزط والسيابجة والأساورة، وربما يرجع ذلك إلى كونهم من ساكني العراق فكانوا مع أهل العراق في جيش الإمام علي رضي الله عنه.

وتُعدُّ مشاركة قبائل الزط والسيابجة في جيش الإمام علي رضي الله عنه من أبرز المواقف السياسية والعسكرية والاقتصادية لهم في جزيرة العرب، وأبرز تلك الأحداث والوقائع ما يأتي:

الحديث الأول: دور الزط وأثرهم في البصرة تحت قيادة عثمان بن حنيف:

لما وصل جيش عائشة وطلحة والزبير إلى البصرة وكان واليها من قبل الإمام علي بن طالب عثمان بن حنيف، فاشتبك مع جيش عائشة وطلحة والزبير، ثم توصلوا إلى صلح مؤقت يفضي إلى إرسال رسول إلى المدينة يسأل إن كان طلحة والزبير بايعًا كرهًا أم طوعًا، فإن كان الأول سلم لهم الأمر، وإن كان الثاني رجع طلحة والزبير عن البصرة، فأرسلوا إلى المدينة كعب بن سوار، وأثناء انتظار الخبر قام محمد بن طلحة -وكان صاحب صلاة- مقامًا قريبًا من جيش عثمان بن حنيف، فخشي بعض الزط والسيابجة أن يكون جاء لغير ما جاء له، فنحياه، فبعثا إلى عثمان، هذه واحدة، ولما علم الإمام علي رضي الله عنه بالخبر عاتب ابن حنيف على ذلك، وأعلمه ألا عذر لطلحة والزبير على خلع البيعة، فلما رجع الخبر من المدينة رفض ابن حنيف الخروج لإتمام الصلح واعتذر بالكتاب، وقال: هذا أمر آخر غير ما كنا فيه، فجمع طلحة والزبير الرجال في ليلة مظلمة باردة ذات رياح وندى، ثم قصدا المسجد فوافقا صلاة العشاء- وكانوا يؤخرونها-

فأبطأ عثمان بن حنيف فقدما عبد الرحمن بن عتاب، فشهر الزط والسيابجة السلاح ثم وضعوه فيهم، فأقبلوا عليهم فاقتتلوا في المسجد وصبروا لهم، فأناموهم وهم أربعون رجلاً، ودخلوا على عثمان وتوطؤوه وما بقيت في وجهه شعرة، فأرسلت عائشة إليهم أن خلوا سبيله فليذهب حيث شاء ولا تحبسوه، فأخرجوا الحرس الذين كانوا مع عثمان في القصر ودخلوه(1).

وأما عند البلاذري فجماعة السيابجة والزط كانوا موكلين ببيت مال البصرة، يقال: إنهم أربعون، ويقال: أربعمائة، وقد أبوا أن يسلموا بيت المال لطلحة والزبير وعائشة إلى قدوم علي ﷺ فأتوهم في السحر فقتلوهم، وكان عبد الله بن الزبير ﷺ المتولي لأمرهم في جماعة تسرعوا إليهم معه، وكان على السيابجة والزط يومئذ أَبُو سالمة الزطي، وكان رجلاً صالحًا(2).

ولما انتهت الاشتباكات بين الجيشين وانهزم جيش عثمان بعد مقتله، وقتلت جموع الزط كتبت عائشة ومن معها إلى الأمصار يوضحون هدفهم من تلك الحملة العسكرية، فبينوا أنهم لا يريدون إلا تطبيق كتاب الله وإقامة الحد على قتلة عثمان، وقد أشارت السيدة عائشة -رضي الله عنها- إلى الزط والسيابجة الذي شاركوا في جيش عثمان بن حنيف في كتابها الطويل الموجه إلى الكوفة، ومما جاء فيه: (أما بعد فإني أذكركم الله -عز وجل- والإسلام، أقيموا كتاب الله بإقامة ما فيه، اتقوا الله واعتصموا بحبله وكونوا مع كتابه...إلى قولها... فعزموا وعثمان بن حنيف

(1) تاريخ الرسل والملوك للطبري (٤/٤٦٧-٤٦٨)، .

(2) فتوح البلدان للبلاذري (ص٣٦٥).

معهم على من أطاعهم من جهال الناس وغوغائهم على زطهم وسيابجهم فلذنا منهم بطائفة من الفسطاط، فكان ذلك الدأب ستة وعشرين يومًا ندعوهم إلى الحق وألا يحولوا بيننا وبين الحق، فغدروا وخانوا)[١].

الحديث الثاني: دور الزط وأثرهم في جيش الإمام علي الخارج من الكوفة:

يشير الطبري إلى أن الزط كانوا في جيش الإمام علي ﷺ القادم من الكوفة، بقوله: (وخرج أمير المؤمنين فيمن معه، وهم عشرون ألفًا، وأهل الكوفة على رؤسائهم الذين قدموا معهم ذا قار، وعبد القيس على ثلاثة رؤساء: جذيمة وبكر على ابن الجارود، والعمور على عبد الله بن السوداء، وأهل هجر على ابن الأشج، وبكر بن وائل من أهل البصرة على ابن الحارث بن نهار، وعلى دنور بن علي الزط والسيابجة، وقدم علي ذا قار في عشرة آلاف، وانضم إليه عشرة آلاف)[٢].

وبدراسة تحليلية لتلك الأحداث التي شارك فيها الزط والسيابجة يتبن لنا ما يأتي:

١. أن دور الزط والسيابجة لم يكن هامشيًا في الدولة الإسلامية، فقد تقلدوا مناصب عليا وذات أهمية قصوى، منها:

أ. **الحراسة الشخصية**: لعثمان بن حنيف، لما يتسم به هؤلاء من المهارة في الحراسة، والصبر في المواقف، والوفاء بما عهد إليهم من المهام، وهذه من أهم صفات الحراسة الشخصية وحراس المنشئات إلى يومنا هذا.

(١) الفتنة ووقعة الجمل للتَّمِيمي (ص١٣٣-١٣٤)، تاريخ الرسل والملوك للطبري (٤/٤٧٣).
(٢) تاريخ الرسل والملوك للطبري (٤/ ٥٠٥).

ب. شاركوا في حراسة الجيش، كما يتبين ذلك من خلال طرد محمد بن طلحة لما قام يصلي بجواز جيش عثمان بن حنيف، وفيه من النباهة والحس الأمني لمن يتولى حراسة المعسكرات والمنشآت عمومًا.

ج. حراسة بيت مال المسلمين في البصرة؛ لما يتمتع به هؤلاء من الأمانة، والشجاعة والمهارة، وقد تطابقت روايات المؤرخين على هذا، يقول أبو عبيدة: (الزط السيابجة، قوم من السند بالبصرة لهم قدم، وكانوا يحفظون بيت المال في الدهر الأول)[1]، وبيت المال يعد من المؤسسات السيادية في الدول، وتولي أمرها من قبل الزط أكبر دليل على مستوى الثقة التي تبوؤها إبان خلافة الإمام علي بن طالب ﵁.

٢. أن مشاركة الزط في جيش الإمام علي بن أبي طالب ﵁ كانوا بأعداد كبيرة جدًا، تقدر بالألاف، ويفهم هذا من خلال انفراد الزط والسيابجة بلواء كامل، وكانت بعض القبائل والألوية تقدر بعشرة آلاف كما فعلت ذو قار حين انضمت إلى جيش علي، وإذا كان الإمام علي خصص على الزط والسيابجة دنور بن علي دلّ على أنهم قد شاركوا بلواء كبير.

٣. أن الزط لم يشاركوا في معركة صفين، فلم يذكر لهم مواقف فيها، بل اعتزلوا القتال، وأما في معركة الجمل فقد نقل التميمي والطبري أنهم خرجوا في جيش علي القادم من الكوفة بأعداد كبيرة، وهذا يدل على أنهم شاركوا في معركة الجمل؛ إذ لم يذكر في كتب التاريخ عن اشتقاقات حدثت في جيش علي ﵁ أو أن مقاتلي الزط ولا غيرهم قد تخلفوا بعد خروجهم مع الجيش[2]، وأما البلاذري فقد جزم بعدم

(١) شرح نقائض جرير والفرزدق لأبي عبيدة (٢٨٤/١).

(٢) الفتنة ووقعة الجمل للتميمي (ص١٥٥)، تاريخ الرسل والملوك للطبري (٥٠٥/٤).

مشاركتهم في الجمل وصفين وغيرهما، حيث قال: (ولم يشهدوا معهم الجمل وصفين ولا شيئًا من حروبهم)[1].

قلت: وكلام البلاذري إن كان يريد أنهم لم يشاركوا بعد حادثتهم في البصرة فقد استقام كلامه، وعارضه ما نقله التميمي والطبري من مشاركتهم في جيش الإمام علي القادم من الكوفة، وإن كان يريد أنهم لم يشاركوا في كل أحداث الفتنة، فقد تناقض مع نفسه؛ لأنه نقل معاركهم في البصرة مع جيش عثمان بن حنيف ضد جيش عائشة وطلحة والزبير -رضي اللهم عنهم-، ونقل غيره أيضًا مشاركتهم في معركة الجمل، وبقي كلامه محمول على عدم مشاركتهم في موقعة صفين؛ إذ لم ينقل في كتب التاريخ ذكرًا لهم فيها، والله أعلم.

٤. أثر قبائل الزط الهندية على الدولة الإسلامية في عهد الدولة الأموية

١,٤ أثرهم في عهد معاوية بن أبي سفيان ﷺ:

لم يكن لقبائل الزط دور سياسي في عهد معاوية بن سفيان ﷺ، ولكنه استفاد منهم في الجوانب الاقتصادية والاجتماعية، ففي سنة تسع وأربعين أو سنة خمسين للهجرة نقل معاوية إلى السواحل قومًا من الزط والسيابجة الذين كانوا في البصرة وأنزل بعضهم أنطاكية، وبأنطاكية محلة تعرف بالزط وببوقا قوم من أولادهم يعرفون بالزط[2].

وبهذا القرار ظهرت حنكة معاوية ﷺ؛ فقد استفاد منهم في الآتي:

١. التخلص من شغبهم والفوضى التي كانوا يحدثونها في العراق

(١) فتوح البلدان للبلاذري (ص٣٦٣).

(٢) فتوح البلدان للبلاذري (ص١٦٢).

وخاصة البصرة التي كانوا قد استوطنوها في حلف قبيلة بني تميم، وهذا يعدَّ من الدوافع السياسية تجاه الزط، واستشراف المستقبل تحسبًا لأي فوضى قد ينشئها هؤلاء القوم.

٢. زيادة عدد المسلمين في المنطقة الحدودية للدولة الإسلامية مع البيزنطية؛ إذ تعّد إحدى مواطن الرباط، وهذا يعد من الدوافع الاجتماعية والسياسية للقيادة العليا في الدولة؛ لأنه يهدف إلى تقوية الثغور (الحاميات) الإسلامية، فقد كان السكان أخلاطًا كثيرة، فبالإضافة إلى السكان الأصليين من المسيحيين أو الجراجمة[١] هاجرت إلى هناك عناصر أخرى كثيرة من القبائل العربية كقيس وكلاب بالإضافة إلى الزط والسيابجة[٢].

٣. وجود الزط والسيابجة إلى جوار المسلمين والمرابطين هناك يعزز من القوة العسكرية للجنود، ويؤدي إلى إعمار الأرض وإحيائها، وبناء السفن، وهذا من الدوافع الاقتصادية والاجتماعية والعسكرية.

وتجدر الإشارة إلى أن مكران قد فتحها المسلمون في عهد معاوية رضي الله عنه سنة ٤٤هـ، ولم تكن قد فتحت من قبل، واتسعت بعد ذلك الغارات حتى بلغت السند[٣]، ولعل قبائل الزط التي أسلمت وسكنت في الجزيرة العربية قد ساهمت في هذه الفتوحات؛ لما لها من خبرات قتالية، ومعرفتها بتضاريس وطرق تلك البلاد.

٢,٤ أثرهم بالربذة بعد مقتل مَسْعُود بْن عَمْرو الأزدي:

بعد موت الخليفة يزيد بن معاوية كان على البصرة عبيد الله بن

(١) الجراجمة: نسبة إلى مدينة الجُرْجُومَةُ، كانت على جبل اللكام بالثغر الشامي قرب أنطاكية. معجم البلدان للحموي (١٢٣/٢).

(٢) موجز دائرة المعارف الإسلامية لهوتسما وغيره (٧٥٢٠/٢٤).

(٣) المصدر نفسه (١٩١٠/٦).

زياد فقال لأهلها: إِن شئتم فبايعوني بالإمرة حَتَّى تنظروا مَا يصنع النَّاس وتروا رأى من وراءكم فبايعوه، ثم أرسل إلى الكوفة طمعًا في مبايعته إلا أنهم رفضوا، فلما سمع أهل البصرة ذلك الرفض قالو: أيخلعه أهل الكوفة ونبايعه نحن هذا ما لا يكون فاضطرب الناس عليه، وبايعوا عبد الله بن الزبير ﷺ، فخرج عبيد الله إلى قبيلة الأزد فاستجار بمسعود بن عمرو الأزدي، فأجاره ثم خرج عبيد الله إلى الشام واستخلف على البصرة مسعود بن عمرو الأزدي، فرفضه بنو تميم وقيس، وكانت الخوارج قد خرجت فأُرسِل إليهم بخبر مسعود، فأرسلوا أحدهم فقتله، فاندلعت الحرب بين الأزد يرأسهم زياد بن عمرو بن الأشرف العتكي ومعهم مالك بن مسمع في بكر بن وائل من جهة وبين بني تميم وقيس يرأسهم الأحنف بن قيس ومعهم جموع من قبائل الأساورة والزط والسيابجة من جهة أخرى، وقد روي أن الأحنف قال لمالك بن مسمع حين تحالفوا: أحلف في الإسلام؟ قال: حالفت علي الزط والسيابجة، فقال: معاذ الله، قال: يا أبا بحر كانت نعمة سبقناك إليها، فقال الأحنف: والله ما أردتها ولتحلبنها دمًا عبيطًا، لقد حالفت قومًا إن اتبعتهم استذلوك وإن خالفتهم عزوك وقهروك[1].

وقد كان للزط والسيابجة أدوار قتالية، فقد عبأ الأحنف بن قيس البطون من مضر، فعبأ بَنِي عَمْرو بْن تميم وعليهم عباد بْن الحصين الحنظلي، ومعهم بنو حنظلة بْن مَالِك وألفافها من بَنِي العم والزط والسيابجة وعلى جماعتهم سلمة بْن ذؤيب الرياحي وجعلهم بإزاء بكر بن وائل، وفي ذلك يقول الشاعر حارثة بن بدر مفاخرًا بقبيلته ومن معه من الزط:

سـيَكْفيكَ عَـبْسٌ أخـو كَهْمَـس مُقارَعَـةَ الأزدْ بالمِربَـدِ

---

(١) أنساب الأشراف للبلاذري (٣٩٦/٥-٤٠٦).

وتكفيــــك قَـــيْس وألفافهــــا   لكَــيزَ بــنَ أفْصــَى ومــا عـــددَ

ونكفيـــكَ بَكْـــرًا وألْفافَهـــا   بضـــرب يشـــيبُ لـــه الأمـــردُ[1]

وقال عوهم بن عبد الله من بني تميم:

ومســعودَ بــنَ عَمــرِو إذا أتانــا   صَــبَحْنَا حَــدَّ مَطــرُورٍ سَــنينا

رَجــا التــأميرَ مســعودٌ فأضــحَى   صَــريعاً قــد أذَقنَــاهُ المَنُونَــا

ســيُجمَعُ جَمعُنــا لبنــي أبينــا   كمــا لَــزُّوا القَرينَــةَ والقَرينــا

وتُغنــي الــزُّطُّ عبــدَ القــيسِ عنّــا   وتكفينـــا الأسَـــاوِرَةُ المَزونـــا[2]

وقال شاعر الأزد يفاخر بقومه من بني وائل:

فَجِئْنـــا بِحَيّـــَيْ وائِـــلٍ وبِلِفِّهَـــا   وجــاءَتْ تَمِــيمٌ زُطُّهَــا والأَســاوِرُ[3]

وتتلخص آثار ومواقف الزط في هذا الحدث في الآتي:

١. أن قبائل الزط والسيابجة قد لعبوا أدوارًا سياسية من خلال القتال المباشر مع حلفائهم من بني تميم ضد الأزد وبكر بن وائل، وكانت بإزاء عبد قيس، وهو مؤشر جلي على أن الزط كانت بأعداد كبيرة، وتمتلك مهارة عالية في القتال، وإلا لما كان القوم ليتركوهم في مواجهة قبيلة عبد قيس أو بكر بن وائل.

---

(١) المصدر السابق (٤١٤/٥)، شرح نقائض جرير والفرزدق لأبي عبيدة (٨٦١/٣).

(٢) شرح نقائض جرير والفرزدق لأبي عبيدة (٨٦١/٣).

(٣) جمهرة اللغة لابب دريد (١٢٩/١)، لسان العرب لابن منظور (٣٠٨/٧).

٢. أن أثر قبائل الأساورة والزط والسيابجة كان بارزًا وقويًا مما دفع بشعراء العرب لمدحهم في شعارهم والتفاخر بهم بين قبائل العرب، وهو دليل على أن بني تميم قد التحموا بالزط والسيابجة والأساورة حتى عدوهم بطنًا من بطونهم، وقد قابلهم الأساورة والزط والسيابجة بالوفاء وتقديم الأروح دونهم.

٣,٤ أثرهم في عهدي عَبْد الملك بن مروان والوليد بن عبد الملك:

ظهرت لقبائل الزط والسيابجة مواقف متنوعة في عصر الدولة الأموية إلا أن أثرهم في عهدي الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان والخليفة الوليد بن عبد الملك كان ظاهرًا؛ حيث برزت لهم مواقف اقتصادية واجتماعية وسياسية وعسكرية؛ نتيجة لتحركات الحجاج بن يوسف الثقفي، وأبرز تلك المواقف ما يأتي:

١,٣,٤ وقوف الزط مع ابن الأشعث ضد الحجاج:

سيَّر الحجاج عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث إلى قتال بلاد الترك سنة ٨١هـ، فحقق انتصارات كثير، ثم خرج عن طاعة الحجاج وعبد الملك ودعا لخلعهما سنة ٨١هـ، وقيل: ٨٢هـ، والتف حوله جماعات من الناس، واستمال القراء والعلماء والعباد، وعلى رأسهم الشعبي وسعيد بن جبير وابن القرية وابن أبي ليلى وسويد بن غفلة وجابر الجعفيّ وأبي إسحاق السبعيّ وأبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود وأعشى همدان وغيرهم، ودعوا الناس إلى الخروج على الحجاج الذي كثر ظلمه واستفحل بطشه وفشا قتله في الناس[1].

(١) تاريخ خليفة بن خياط (ص٢٨٠)، الأخبار الطوال للدينوري (ص٣١٦)، البدء والتاريخ للمقدسي (٦/٣٥).

وانضم إلى جموع الثائرين الزط والأساروة والسيابجة، فلما انكشف أمر هذه الثورة انتقم منهم الحجاج، فهدم دورهم، وحط أعطياتهم، وأجلى بعضهم، وقال: كان في شرطكم أن لا تعينوا بعضنا عَلَى بعض[1].

وهل كانت مشاركة الزط والسيابجة بدوافع سياسية أم اقتصادية، كل ذلك محتمل؟ فقد ذُكر أن حالهم ساء وفقرهم زاد، فكانت حياتهم قاسية ومعيشتهم صعبة، فكان ذلك عاملاً لاستغلال الثورة والدفع بها إلى الانتصار طمعًا في تحسين وضعهم المعيشي، ومع ذلك فيحتمل أنهم ثاروا مع غيرهم انتقامًا من ظلم الحجاج وبشطه بالخلق.

٢,٣,٤ فتح بلاد السند وأثر الزط فيه:

أهدى ملك جزيرة الياقوت[2] إِلَى الحجاج نسوة وُلِدنَ في بلاده مسلمات ومات آباؤهن، وكانوا تجارًا، فأراد التقرب بهن، فعرض للسفينة الَّتِي كنَّ فيها قوم من ميد الديبل[3] في بوارج فأخذوا السفينة بما فيها، وبلغ الحجاج ذلك، فأرسل إِلَى داهر بن صصّة - ملك الهند- يسأله تخلية النسوة، فقال: إنما أخذهنَّ لصوص لا أقدر عليهم، فأغزى الحجاج عُبَيْد اللَّه بْن نبهان الديبل فقتل، فأمر طهفة البجلي وهو بعمان أن يسير إِلَى الديبل فلما نفر إلى القتال طاف به العدو فقتلوه، وقال بعضهم: قتله زط البدهة، عندها أحس الحجاج بالخطورة لهذه الانتكاسات المتتالية، فعزم على حسم الموقف بعد مشاورته الخليفة، فأعد جيشًا كبيرًا سنة ٩٢هـ، وعند الطبري سنة ٩٠هـ، وانضم إليه ستة آلاف من جند الشام

(١) فتوح البلدان للبلاذري (ص٣٦٣).

(٢) أطلقه عليها المسلمون، وهي جزيرة كبيرة تقع في جنوب الهند. نزهة المشتاق للشريف الادريسي (٥٢٠/١).

(٣) الدّيبل: مدينة من بلاد السند على ساحل بحر الهند. مراصد الاطلاع للقطيعي (٥٤٨/٢).

وخلقًا غيرهم، وأسند قيادته إلى ابن أخيه محمد بن القاسم الثقفي، -وهو ابن سبع عشرة سنة-، وجهزه بالمؤن وكل ما احتاج إليه حَتَّى الخيوط والمال والقطن المحلوج[1]، وبعد ستة أشهر من الترتيب والاعتداد تحرك نحو السند، وجعل مُحَمَّد لا يمر بمدينة إلا فتحها، فصالحته بيرون[2]، ثُمَّ سار إِلَى مهران فنزل في وسطه، فبلغ ذلك داهر واستعد لمحاربته، وبعث ابن القاسم محمد بن مصعب بن عبد الرحمن الثقفي إِلَى سدوسا - من بلاد السند- في خيل وحمارات، فطلب أهلها الأمان والصلح، فأمنهم وانصرف إِلَى ابن القاسم ومعه من الزط أربعة آلاف، فصاروا معه في جيشه، فواصلت جيوش الفاتحين تحركها حتى وصلت إلى الديبل ففتحوها، وقُتِل داهر، وواصل الجيش يشق طريق الفتح، وجاءته قبائل الميد والجات والزط تقرع الأجراس فرحة هاتفة، مرحبة به، لأنهم عدُّوه محررهم من بطش داهر وظلم الهندوس، فعاملهم محمد بن القاسم معاملة حسنة فأسلموا[3].

٣,٤,٤ استقدم الحجاج جموع زط السند:

بعد أن أشرقت شمس الفتوحات الإسلامية على بلاد السند، ودخل كثير من أهلها في الصلح وأسلم كثير منهم، كان لابد من توثيق ذلك الفتح بعلاقة اقتصادية واجتماعية تفيد الطرفين، فرأى الحجاج الاستفادة

---

(١) القطن المحلوج: الخالص المنقى، أي: ما خلُص حبُّه من قطنه. لسان العرب لابن منظور (٢٣٩/٢).

(٢) بيرون: مدينة من السند بين الديبل والمنصورة. المسالك والممالك للاصطخري (ليدن/١٧٥).

(٣) فتوح البلدان للبلاذري (ص٤١٩،٣٦٤-٤٢٣)، تاريخ الرسل والملوك للطبري (٤٤٢/٦)،= =تاريخ ابن خلدون (٧٦/٣)، نزهة الخواطر للطالبي (٣٦/١)، موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي (٤٩/١٣).

منهم في تعمير الأرض وإحيائها، فبعث إليه محمد بن الْقَاسِم بخلق من زط السند وأصناف ممن بها منَ الأمم معهم أهلوهم وأولادهم ومعهم ألوف من الجواميس، فبعث ببعضها الحجاج إلى الوليد، وألقى بأربعة آلاف في آجام كسكر[(١)]، ولما خلع يزيد بْن المهلب فقتل وقبض يزيد بْن عَبْد الملك أموال بني المهلب أصاب لهم أربعة آلاف جاموسة كانت بكور دجلة وكسكر، فوجه بها إلى المصيصة[(٢)] مع زطها، فكان أصل الجواميس بالمصيصة ثمانية آلاف جاموسة، وكانت الطريق فيما بين أنطاكية والمصيصية مسبعة يعترض الناس فيها الأسد، فانتفع الناس في الطريق بين انطاكية والمصيصية بها[(٣)].

مما سبق من هذا المطلب تظهر لنا ملامح آثار الزط السياسية والاقتصادية والاجتماعية خلال هذين العهدين على النحو الآتي:

١. أن الزط قد انخرطوا في الحياة العسكرية من خلال مشاركة الزط القاطنين في العراق في فتوحات بلاد فارس وما وراءها من السند والهند، كما شارك أهل الزط الأصليين بآلاف المقاتلين في معارك المسلمين ضد طغاة الهند وملوكها، وقد استفاد المسلمون منهم كثيرًا؛ نظرًا لشجاعتهم ودربتهم في الحروب، ومعرفتهم بالطرقات وخبرتهم بالمسالك والممرات، ناهيك عن معرفتهم بمواطن الضعف والقوة لدى جيوش الهند وأهلها.

---

(١) كسكر: أسفل من واسط، في الجانب الشرقي منها، بين الكوفة والبصرة. معجم البلدان للحموي (٤/٤٦١).

(٢) المصيصة: من ثغور الشام بالقرب من أنطاكية، والمصيصة مدينتان بينهما نهر عظيم يقال له جيحان. معجم البلدان للحموي (٥/١٤٥)، الروض المعطار لأبي عبد الله الحِميرى (ص٥٥٤).

(٣) فتوح البلدان للبلاذري (ص١٦٢- ١٦٨، ٣٦٥)، الخراج وصناعة الكتابة لأبي الفرج البغدادي (ص٣٠٩).

٢. أن مشاركة زط السند الأصليين في الأعمال العسكرية مع المسلمين كان انتقامًا من الحكومة البرهمية المستبدة وطمعًا في التخلص من ظلم ملوكها، وبالفعل فقد حصلوا على الأمان، وأعطيت لهم الحرية العقدية والاقتصادية.

٣. أنَّ حكم الحجاج كان يقوم على سياسة زيادة موارد الدولة المالية، فاهتم بالجوانب الاقتصادية، وخاصة الزراعية والثروة الحيوانية، ولما كانت العراق تمتاز بالأنهار وخصوبة التربة قطع منها أراض شاسعة وخصصها لتنفيذ هذه الخطة الاقتصادية والإنتاجية، واستقدم لها آلاف من أقوام الزط مع أسرهم وجواميسهم التي كانت بالآلاف أيضًا، وأصدر قوانين تتواكب مع هذه الخطة الاقتصادية فمنع من ذبح إناث البقر والجواميس بغية زيادة الثروة الحيوانية والاستفادة منها في حراثة الأرض، وتعدُّ هذه الخطة ذو أهمية اقتصادية واجتماعية على حدٍّ سواء؛ إذ استفادت الدولة من الأيادي العاملة للزط وخبراتهم في الحراثة والزراعة والرعي، واستفادت من الناتج الاقتصادي الكبير، إضافة إلى ذلك تكونت مجتمعات حديثة ساهمت بالحراسة والأعمال العسكرية عند الحاجة إليها.

٤. أن أقوام الزط كانت لهم صفات تؤهلهم للتكيف مع البيئات المختلفة، فبعد استقرارهم في العراق وما قدموه من خدمات اقتصادية في الزراعة والري والثروة الحيوانية استفادت منهم الدولة الإسلامية في بلاد الشام بعد نقلهم إليها؛ لتحقيق ثلاثة غايات مهمة:

أ. القضاء على التهديدات الاجتماعية والاقتصادية التي كانت ناتجة عن كثرة الأسود بين انطاكية والمصيصية فساعد ذلك في تنظيف مناطق المستنقعات من السباع التي كانت تعيش هناك.

ب. زيادة أعداد المسلمين في مجتمعات على الحدود من البيزنطيين قريبة العهد من الفتح الإسلامي، (وكثرت هجرة الناس على اختلاف عناصرهم إلى هذا القطر؛ لأن قصبته أصبحت عاصمة الدولة الإسلامية الكبرى)[1].

ج. تقوية خط الدفاع الأول للمسلمين أمام النصارى؛ إذ المنطقة من مواضع الثغور والرباط، فقد كانت تلك المجتمعات من أهم خطوط الإمداد الغذائي والعسكري.

٤,٤ أثرهم في أواخر عهد الدولة الأموية:

تختلف آثار الزط في أواخر الدولة الأموية إلا أن أثرهم لم يكن بقوة العهود السابقة، ويمكن الحديث عن أثرهم من خلال عهد الخليفة هشام بن عبد الملك والخليفة مروان بن محمد، وبيان ذلك على النحو الآتي:

١,٤,٤ أثرهم في عهد هشام بن عبد الملك:

ولَّى الخليفة هشام بن عبد الملك الأموي الجنيد بن عبد الرحمن المري ثغر السند فبعث إلى خالد بن عبد الله القسري بسبي من الزط بيض، فجعل خالد يهب أهلي البيت كما هو للرجل من رجال قريش، حتى بقيت جارية منهن جميلة وعليها فوطتان، فقال لأبي النجم: هل يحضرك فيها شيء وتأخذها الساعة؟ فقال العريان بن الهيثم النخعي - وكان على شرطته-، والله ما يقدر على ذلك، فقال أبو النجم:

عُلِّقْتُ خَودًا من بنات الزط ذاتَ جَهازٍ[2] مَضْغَطٍ ملَطِّ

(١) خطط الشام لكُرْد عَلي (٢٨/١).

(٢) الجهاز: الفَرْج. تهذيب اللغة للأزهري (١٨٤/٥)، الصحاح للجوهري (٨٧٠/٣).

رابـي المجـس حسـن المخـط كأنمـا قُـطَّ علـى مِقَـطِّ

كـأَنَّ تحـتَ دِرْعِهـا المُـنْعَطِّ[1] إذا بـدا منهـا الـذي تُغطـى

شَـطّاً[2] رَمَيْـت فَوْقَـه بشَـطِّ لَـمْ يَنْـزُ فِي الرَّفـعِ ولـم يَـنْحَطِّ

فيـه شـفاء مـن أذى التمطـي كهامـة الشـيخ اليمـاني الـثَّط[3]

وأوما بيده إلى العريان وكان العريان ثطًا، أي قليل شعر اللحية، فضحك خالد القسري، وقال له: خذها، ثم قال: يا عريان: هل تراه احتاج إلى أن يروى فيها؟ قال: لا والله، ولكنه ملعون ابن ملعون[4].

٢,٤,٤ أثرهم في عهد مروان بن محمد:

ضعف الحكم في أواخر الدولة الأموية، فظهرت الفتن والخلافات، ولما كان زمن فتنة مروان بْن مُحَمَّد بْن مروان، خرجت الروم فهدمت بعض المدن، وأجلت عنها أهلها، وكان أهل انطاكية وقنسرين قَدْ غلبوا عَلَى كثير من الجواميس وساقوها إلى أنطاكيا، وظلت معهم إلى أن استخلف الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور فأمر بردها إلى المصيصة[5].

وفي هذا العهد تتلخص تأثيرات الزط في النقاط الآتية:

١. يلاحظ من خلال هذه القصة أن إرسال أقوام الزط من الرجال

(١) المُنْعَطّ: المنشق المنخرق. العين للخليل بن أحمد (٧٨/١).

(٢) الشط: جانبُ النهرِ والوادي والسنامِ، وكلُّ جانبٍ من السنام شط. الصحاح للجوهري (١١٣٧/٣).

(٣) الثَّط: خفَّة اللِّحْيَة من العارضين، أو هو الذي لا لحية له. جمهرة اللغة لابن دريد (٨٣/١)، المحيط في اللغة للصاحب بن عباد (١٢٧/٩).

(٤) البصائر والذخائر للتوحيدي (٢١٣/٤)، الاقتضاب للبَطَلْيَوسي (٣٠٣/٣).

(٥) فتوح البلدان للبلاذري (ص١٦٨)، بغية الطلب لابن العديم (٢٩٤/١).

والنساء لم يتوقف خلال العهد الأموي، فإذا كان عهد هشام بن عبد الملك من العهود المتأخرة فإن أول تعامل للدولة الأموية مع الزط كان في عهدها الأول إبان معاوية أبي سفيان ﵁.

٢. تغنى العرب بالزط في أبياتهم الشعرية ونظم الأبيات فيهم يدل على حالة الاختلاط التي عاشوها مع العرب وتأثر بعضهم ببعض.

٣. تأثر حال الزط المقيمين في ثغور بلاد الشام الاجتماعي والاقتصادي، فقد كانوا أحد ضحايا ضعف الدولة الإسلامية، لأنهم كانوا على الحدود مع البيزنطة، ولذا سلبت أموالهم وجواميسهم وأخذوها إلى أنطاكيا، إلا أن الأمر لم يدم كثيرًا، فقد أخذ بحقهم الخليفة أبو جعفر المنصور في عهد الدولة العباسية.

وفي هذا العهد كان تأثير الزط الاجتماعي في المجتمع الإسلامي يتجلى على مستويات متعددة، يقول ميمون أبو القاسم قال: رأيت على عطاء قميص زُطيًا، ويقول خال عن خالد أبو العلاء قال: رأيت على الحسن قميصًا زطيًا[١]، وهذا ابن شُبْرُمَةَ كان يقول لبنيه وبنى أخيه: لا تجالسوا السفلة فيجترئوا عليكم، فإن هذه الزط ليسوا بأشجع الرجال، فإنما تجترئون على الأسد؛ لكثرة ما ترونها[٢]، وقوله لا يحمل على عمومه، بل يحمل على حال معينة كانت لناس في زمنه، وإلا فإن الزط فيهم من الأبطال والشجعان والقيادة الكثير، فقد شاركوا في الفتوحات ومعارك العرب، وظهرت لهم بطولات ومواقف فيها من الرجولة ما يدفع تعميم الانتقاص منهم والتقليل من شأنهم.

(١) مصنف ابن أبي شيبة (٥٤٣/١٣).

(٢) أخبار القضاة لوكيع (١٢١/٣).

الخاتمة

بعد الحديث عن أثر قبائل الزط الهندية لم يبق إلا الحديث عن أهم نتائج هذا البحث، وهي:

١. أن العرب قد عرفوا الزط واختلطوا معهم قبل الإسلام وبعده، وتأثر بعضهم ببعض، فلبس العرب ثيابهم وقلدوهم في قصات الشعر، وتأثروا بالعرب في القتال والحمية والشهامة وغيرها.

٢. أن جماعات من الزط قد انتقلوا قبل الإسلام من بلادهم نحو فارس وبلاد العرب كان بدوافع اجتماعية واقتصادية وعسكرية، كاضطهاد البراهمة الهندوس لهم، واستقدامهم إلى فارس لغرض الغناء والقتال معهم.

٣. أن الزط دخلوا الإسلام لأول مرة في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ، ثم تتالى دخلوا جماعات منهم في الإسلام على فترات إلى أن فتحت السند على يد ابن القاسم الثقفي.

٤. أن قبائل الزط التي سكنت الجزيرة العربية قد أسلمت وتعايشت مع المسلمين، وشاركت معهم الحياة الدينية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعسكرية.

٥. أن أبرز ظهور لقبائل الزط في الحياة السياسية كان في عهد الإسلام تمثل في المواقف التالية: المشاركة في الردة مع قبائل بني تميم حمية مع القبيلة وطمعًا في المال، والدفاع عن عثمان بن عفان، تولي حراسة الجيش وبيت المال في عهد علي ﷺ وشاركوا معه في معركة الجمل.

٦. أن أبرز تأثيرهم السياسي في عهد الدولة الأموية كان في خروجهم مع ابن الأشعث، وتأثيرهم الاقتصادي والاجتماعي كان في نقلهم مع جواميسهم إلى العراق وإلى أنطاكية.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

٢٤ شعبان ١٤٤٥هـ الموافق ٥ مارس ٢٠٢٤م.

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.

٢. آثار البلاد وأخبار العباد، لزكريا بن محمد بن محمود القزويني، دار صادر، بيروت، (د.ط)، (د.ت).

٣. أبي حنيفة أحمد بن داود الدينوري (١٩٦٠): الأخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم عامر، مراجعة: جمال الدين الشيال، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مصر، ط١.

٤. أبي بكر محمد بن خلف بن حيان بن صدقة الضَبّي البغدادي الملقب بوكيع (١٩٤٧): أخبار القضاة، تحقيق: عبد العزيز مصطفى المراغي، المكتبة التجارية الكبرى، بشارع محمد علي بمصر لصاحبها: مصطفى محمد، ط١.

٥. أبي عبد الله محمد بن إسحاق الفاكهي (٢٠٠٣) : أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، دراسة وتحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، مكتبة الاسدي، مكة المكرمة، ط٤.

٦. لأحمد بن محمد بن أبى بكر القسطلاني شهاب الدين: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط٧.

٧. ، لموريس لومبار: الإسلام في مجده الأول: ترجمة : إسماعيل العربي، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، (د.ط)، (د.ت).

٨. أبي محمد عبد الله بن محمد بن السِّيد البَطَلْيَوسي (١٩٩٦): الاقتضاب في شرح أدب الكتاب، تحقيق: مصطفى السقا وحامد عبد المجيد، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة.

٩. أبي المنذر سلمة بن مسلم بن إبراهيم الصحاري العوتبي: الأنساب =أنساب العرب= تَارِيخِ العَوْتَبِي، ل (د.ط)، (د.ت).

١٠. أبي بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري (٢٠٠٩): الأوسط في السنن والإجماع والاختلاف، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الفلاح، ط١.

١١. مطهر بن طاهر المقدسي (١٩١٩): البدء والتاريخ، اعتنى بنشره: كِلمان هُوار: أَرنست لرُو الصَحّاف، باريس، مطبعة برطرند في مدينة شالون.

١٢. عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الجاحظ (١٤١٠): البرصان والعرجان والعميان والحولان، دار الجيل، بيروت، ط١.

١٣. أبي حيان التوحيدي، علي بن محمد بن العباس (١٩٨٨): البصائر والذخائر، تحقيق: وداد القاضي، دار صادر، بيروت، ط١.

١٤. كمال الدين عمر بن أحمد العقيلي ابن العديم (٢٠١٦): بُغية الطّلب في تاريخ حلب، تحقيق: المهدي عيد الرواضية، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، مركز دراسات المخطوطات الإسلامية، لندن، ط١.

١٥. محمّد مرتضى الحسيني الزَّبيدي (٢٠٠١): تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: جماعة من المختصين، وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت.

١٦. عبد الرحمن بن عمرو بن عبد الله النصري المشهور بأبي زرعة الدمشقي الملقب بشيخ الشباب، تاريخ أبي زرعة الدمشقي، رواية: أبي الميمون بن راشد، تحقيق: شكر الله نعمة الله القوجاني، أصل التحقيق: رسالة ماجستير بكلية الآداب – بغداد، مجمع اللغة العربية – دمشق، (د.ط)، (د.ت).

١٧. أبي جعفر محمد بن جرير الطبري (١٩٦٧): تاريخ الطبري= تاريخ الرسل والملوك، ويليه بالجزء ١١: «صلة تاريخ الطبري»، لعريب بن سعد القرطبي، ويليه: (تكملة تاريخ الطبري)، لمحمد بن عبد الملك الهمذاني، ويليه: (المنتخب من كتاب ذيل المذيل من تاريخ الصحابة والتابعين لمحمد بن جرير الطبري)، لأحد العلماء، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، ط٢.

١٨. لأبي عمرو خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني العصفري (١٣٩٧): تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: أكرم ضياء العمري، دار القلم، مؤسسة الرسالة، دمشق- بيروت، ط٢.

١٩. حمزة بن حسن الأصفهاني، تاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء، بيروت مكتبة الحياة، (د.ط)، (د.ت)، ط٢.

٢٠. أبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (١٩٨١): التنبيه والإشراف، دار مكتبة الهلال، بيروت، (د.ط).

٢١. محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي أبي منصور (٢٠٠١): تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١.

٢٢. سراج الدين أبي حفص عمر الأنصاري المعروف بابن الملقن (٢٠٠٨): التوضيح لشرح الجامع الصحيح، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث بإشراف: خالد الرباط وجمعة فتحي، دار النوادر، دمشق، ط١.

٢٣. عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري (١٣٤٧): التيجَان في مُلوك حِمْيَر، يرويه عن أسد بن موسى عن أبي إدريس ابن

سنان عن جده لأمه وهب بن منبه، تحقيق: مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، صنعاء، ط١.

٢٤. لأبي أحمد محمد عبد الله الأعظمي المعروف بالضياء (٢٠١٦): الجامع الكامل في الحديث الصحيح الشامل المرتب على أبواب الفقه، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، ط١.

٢٥. لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (١٩٦٤): الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢.

٢٦. أبي الحسن على بن موسى بن سعيد المغربي، الجغرافيا، المكتبة الشاملة، (د.ط)، (د.ت).

٢٧. أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذُري (١٩٩٦): جمل من أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، دار الفكر، بيروت، ط١.

٢٨. أبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (١٩٨٧): جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١.

٢٩. محمد بن عبد الهادي التتوي السندي (١٩٨٦م): حاشية السندي على سنن النسائي، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط٢.

٣٠. عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الشهير بالجاحظ (١٤٢٤): الحيوان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢.

٣١. قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي أبي الفرج (١٩٨١): الخراج وصناعة الكتابة، دار الرشيد للنشر، بغداد، ط١.

٣٢. عماد الدين الكاتب الأصبهاني محمد بن محمد صفي الدين بن نفيس الدين حامد بن أله أبي عبد الله، خريدة القصر وجريدة العصر، المكتبة الشاملة، (د.ط)، (د.ت).

٣٣. لمحمد بن عبد الرزاق بن محمَّد، كُرْد عَلي (١٩٨٣): خطط الشام، مكتبة النوري، دمشق، ط٣.

٣٤. شاكر مصطف، دولة بني العباس، وكالة المطبوعات، الكويت، (د.ط)، (د.ت).

٣٥. جار الله الزمخشري (١٤١٢): ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١.

٣٦. أبي زيد حسن بن يزيد السيرافي (١٩٩٩): رحلة السيرافي، المجمع الثقافي، أبو ظبي.

٣٧. أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحِميري (١٩٨٠): الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، طبع على مطابع دار السراج، ط٢.

٣٨. أبي الحسن علي بن عمر بن أحمد الدارقطني (٢٠٠٤): السنن، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وحسن عبد المنعم شلبي وعبد اللطيف حرز الله وأحمد برهوم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١.

٣٩. أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (١٩٣٠): السنن، صححها: جماعة، وقرئت على الشيخ: حسن محمد المسعودي، المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة، ط١.

٤٠. أبي عباس أحمد بن عبد المؤمن بن موسى القَيْسي الشُّريشي (٢٠٠٦): شرح مقامات الحريري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢.

٤١. أبي عبيدة معمر بن المثنى (١٩٩٨): شرح نقائض جرير والفرزدق، برواية اليزيدي عن السكري عن ابن حبيب عنه، تحقيق: محمد إبراهيم حور ووليد محمود خالص، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ط٢.

٤٢. نشوان بن سعيد الحميرى اليمني (١٩٩٩): شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تحقيق: حسين بن عبد الله العمري ومطهر بن علي الإرياني ويوسف محمد عبد الله، دار الفكر المعاصر- بيروت، دار الفكر- دمشق، ط١.

٤٣. أبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (١٩٨٧): الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤.

٤٤. أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي (١٩٩٣): صحيح البخاري، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، دار اليمامة - دمشق، ط٥.

٤٥. أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (١٩٥٥): صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة (ثم صورته دار إحياء التراث العربي ببيروت، وغيرها).

٤٦. محمد بن حوقل البغدادي الموصلي أبي القاسم (١٩٣٨): صورة الأرض، دار صادر، أفست ليدن، بيروت.

٤٧. زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي، طرح التثريب في شرح التقريب، أكمله ابنه: أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين، الطبعة المصرية القديمة، وصورتها دور عدة منها (دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، ودار الفكر العربي)، (د.ط)، (د.ت).

٤٨. عبد الرحمن بن محمد خلدون (١٩٨١)، العِبَر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر= تاريخ ابن خلدون، دار الفكر، بيروت، ط١.

٤٩. بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه: شركة من العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، لصاحبها ومديرها محمد منير عبده أغا الدمشقي، (د.ط)، (د.ت).

٥٠. الفائق في غريب الحديث والأثر، لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، (د.ت)، دار المعرفة، لبنان، ط٢.

٥١. زين الدين عبد الرحمن بن رجب السَلامي (١٩٩٦)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: محمود بن شعبان بن عبد المقصود ومجدي بن عبد الخالق الشافعي وآخرين، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة النبوية، ط١.

٥٢. سيف بن عمر الأسدي التَّمِيمي (١٩٩٣): الفتنة ووقعة الجمل، تحقيق: أحمد راتب عرموش، دار النفائس، ط٧.

٥٣. أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذُري (١٩٨٨): فتوح البلدان، دار ومكتبة الهلال، بيروت.

٥٤. مجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (٢٠٠٥): القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط٨.

٥٥. أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الجزري عز الدين ابن الأثير (١٩٩٧): الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١.

٥٦. محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء المدني (١٩٧٨): كتاب السير والمغازي، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ط١.

٥٧. أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (د.ط)، (د.ت).

٥٨. محمد بن يوسف بن علي الكرماني، الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري (١٩٨١): دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢.

٥٩. أبي الفضل محمد بن مكرم بن على بن منظور (١٤١٤): لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط٣.

٦٠. صاحب امتيازها: أَنِسْتاس ماري الألياوي الكَرْمِلي وبطرس بن جبرائيل يوسف عوّاد، مجلة لغة العرب العراقية، مجلة شهرية أدبية علمية تاريخية، المدير المسؤول: كاظم الدجيلي، وزارة الأعلام، الجمهورية العراقية، مديرية الثقافة العامة، تم طبعها بمطبعة الآداب، بغداد.

٦١. أبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (٢٠٠٠): المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١.

٦٢. صاحب إسماعيل بن عباد (١٩٩٤): المحيط في اللغة، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب، بيروت، ط١.

٦٣. عبد المؤمن بن عبد الحق بن شمائل القطيعي (١٤١٢): مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، دار الجيل، بيروت، ط١.

٦٤. أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي العمري (١٤٢٣): مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ط١.

٦٥. أبي القاسم عبيد الله بن عبد الله المعروف بابن خرداذبة (١٨٨٩): المسالك والممالك، دار صادر أفست ليدن، بيروت.

٦٦. إسحاق بن منصور بن بهرام الكوسج (٢٠٠٢): مسائل الإمام أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه، عمادة البحث العلمي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط١.

٦٧. أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (١٤١١): المستدرك على الصحيحين، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١.

٦٨. أبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار، مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار، (٢٠٠٩): تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله وعادل بن سعد وصبري عبد الخالق الشافعي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط١.

٦٩. الإمام أحمد بن حنبل الشيباني (٢٠٠١): المسند، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعادل مرشد وآخرين، عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط١.

٧٠. عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي، مشارق الأنوار على صحاح الآثار، المكتبة العتيقة ودار التراث، (د.ط)، (د.ت).

٧١. أبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي الكوفي (٢٠١٥): المصنف، تحقيق: سعد بن ناصر بن عبد العزيز أبو حبيب الشثري، دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض، ط١.

٧٢. محمد بن محمد حسن شُرَّاب (١٤١١): المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، دار القلم، الدار الشامية، دمشق- بيروت، ط١.

٧٣. شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي (١٩٩٥): معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط٢.

٧٤. رجب عبد الجواد إبراهيم (٢٠٠٢): المعجم العربي لأسماء الملابس في ضوء المعاجم والنصوص الموثقة من الجاهلية حتى العصر الحديث، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط١.

٧٥. سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير الطبراني، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، (د.ت)، ط٢.

٧٦. محمد بن عمر الكشي (١٣١٧): معرفة أخبار الرجال، المطبعة الصفوية، طبع في بمباى، (د.ط).

٧٧. محمد بن أحمد بن يوسف أبي عبد الله الكاتب البلخي، مفاتيح العلوم، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، (د.ت)، ط٢.

٧٨. م. ت. هوتسما، ت. و. أرنولد، ر. باسيت، ر. هارتمان، الأجزاء (أ) إلى (ع): (١٩٩٨): موجز دائرة المعارف الإسلامية، إعداد وتحرير: إبراهيم زكي خورشيد، أحمد الشنتناوي، عبد الحميد يونس الأجزاء من (ع) إلى (ي): ترجمة: نخبة من أساتذة الجامعات المصرية والعربية، مركز الشارقة للإبداع الفكري، ط١.

٧٩. عبدالله مبشر الطرازي (١٩٨٣م): موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية لبلاد السند والبنجاب، عالم المعرفة، جدة، ط١.

٨٠. موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي، عدد الأقسام: ١٦ (٩ عصور، و٧ ملاحق)، عدد أجزاء المطبوع: ١٠ أجزاء، المكتبة الشاملة، (د.ط)، (د.ت).

٨١. عبد الحي بن فخر الدين بن عبد العلي الحسني الطالبي (١٩٩٩): نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر=الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام المسمى، دار ابن حزم، بيروت، ط١.

٨٢. محمد بن محمد بن عبد الله المعروف بالشريف الإدريسي (١٤٠٩): نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، بيروت، ط١.

٨٣. أبي السعادات المبارك بن محمد بن محمد الجزري ابن الأثير (١٩٧٩): النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت.

٨٤. أحمد بن محمد بن الصدِّيق أبي الفيض الغُمَارِي الحسني (١٩٨٧): الهداية في تخريج أحاديث البداية، تحقيق: يوسف عبد الرحمن المرعشلي وعدنان علي شلاق وعدنان علي شلاق وعلي نايف بقاعي وعلي حسن الطويل ومحمد سليم إبراهيم سمارة، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط١.

***

الفصل الثاني

التأثيرات الفارسية في الفكر السياسي الإسلامي في العصر العباسي

مقدمة:

إن الله تعالى خلق الخلق وجعلهم شعوبًا وقبائل، وأممًا ومجتمعات، اختلفت ألوانهم وألسنتهم ولغاتهم، وجعل بعضهم فوق بعض سخريًا؛ لحكم أرادها الله تعالى، يقول سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ (الحجرات، ١٣)، ويقول تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُم﴾ (الروم،٢٢)، ويقول تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (يوسف، ١١).

فاختلاط البشر ببعضهم البعض وتعدد الروابط وتنوع وسائل الالتقاء بين تجارة ومصاهرة وأسرى وحرب وزيارة وهجرة وتعلم وطب وغيره؛ تزيد من تناقل الأفكار والثقافات بين أمم الأرض وشعوبها، ويتأثر بعضهم ببعض في السلوك والقيم والأفكار واللغات، فنرى شعوبًا بأكملها غيرت معتقداتها ولغاتها وهويتها وثقافتها بعد تأثرها بدين أو رسالة أو أشخاص أو أفكار، أو تحت تأثير الحروب والقهر والإكراه.

والأمة الإسلامية واحدة من هذه الأمم التي أثرت في غيرها وتأثرت بغيرها من أمم الأرض وحضاراتها، وذلك أمر طبيعي ناتج عن توسعها الهائل، فقد التقت بالروم والفرس والهند والأفارقة والأحباش وغيرهم، وكان لها السيادة والريادة في الدين والعلم والحضارة والقوة، فنقلت عن الإسلام وعلومه أجيال من مختلف بقاع البسيطة، ونقل المسلمون عن

غيرهم، وترجمت كتب ومؤلفات، واستفادة الأمة منها بعد تطويرها وتصحيحها، وأنشأت مراكز ودورًا لمختلف العلوم حتى سمع العالم بأسره عن هذه الحضارة والعلوم والأدب والفنون.

والتداخل الحضاري الإسلامي مع التراث الفارسي (الساساني) كان بعد فتح بلاد فارس وانهيار الحضارة الفارسية، ودخول شعوبهم في الإسلام، ثم تعاونهم مع الثورة العباسية ضد الأمويين، واستغلوا تلك العلاقة للتغلغل في أروقة قصور الخلافة، ثم زاد ظهورهم وتأثيرهم عندما ترجمت كتب الحضارة الساسانية في مختلف العلوم إلى اللغة العربية، ومنها الكتب السياسية المتعلقة بسير الملوك وأخلاقهم وآدابهم.

وهذا البحث محاولة من الباحثة لدراسة تأثير الحضارة الفارسية في الفكر السياسي الإسلامي إبان العصر العباسي، وهي دراسة تتبعت فيها الباحثة تلك التأثيرات بدءًا بالترجمة وختمًا بالآداب السلطانية.

١. دور حركة الترجمة والنقل في تغلغل الموروث الثقافي الفارسي في الثقافة العربية:

١،١. مراحل الترجمة والنقل ودورها في تغلغل الفكر الثقافي الفارسي في الثقافة العربية:

إن العلاقات بين الشعوب والحضارات أمر ضروري تفرضه الحاجة، حيث تلتقي الشعوب في كثير من معاشها وتجارتها وحروبها، وعلى مر العصور والقرون تشكلت روابط عديدة بين الشعوب المختلفة، وامتزجت كثير من ثقافتها وعادتها وتقاليدها، وتعددت هذه الروابط وتنوعت؛ فاستدعى ذلك الحاجة إلى المترجمين والناقلين، ويبدو أن هذا الأمر ظهر منذ ظهور اللغات والألسن.

وعليه فلا يخلو زمان من المترجمين والنقلة، فمنهم مترجمو رسائل الملوك والقادة والأخبار، ومنهم مترجم والتجار والزوار، ومنهم مترجمو كتب الشعوب وعقائدهم، وغير ذلك.

وأما الترجمة في العهد الإسلامي فقد مرت بمراحل، وبيانها على النحو الآتي:

١,١,١ الترجمة في عهد النبي ﷺ:

فقد كان لهﷺ مترجمون من الصحابة الكرام، وقد ازدادت أهمية الترجمة في آخر عهد الرسالة؛ حيث الفتوحات وإقبال أمم الأرض على الإسلام، وكذا الحاجة إلى الترجمة في مراسلة ملوك الأرض آنذاك ودعوتهم إلى الإسلام على اختلاف لغاتهم، وقد أمر النبي ﷺ بعض الصحابة بتعلم اللغات، يقول زيد بن ثابت: أمرني رسول الله ﷺ فتعلمت له كتاب يهود، وقال: (إني والله ما آمن يهود على كتابي) فتعلمته، فلم يمر بي إلا نصف شهر حتى حذقته، فكنت أكتب له إذا كتب، وأقرأ له إذا كتب إليه [(١)].

٢,١,١ الترجمة في عهد الدولة الأموية:

وفيه استمر ت الحاجة للترجمة كما في العهد السابق، غير أنها اتخذت شكلاً مختلفًا؛ وذلك بالإقبال على ترجمة كتب اليونان، وهذا النقل هو الأول في الإسلام، أمر به خالد بن يزيد الأموي، يقول ابن النديم [(٢)]: (كان خالد بن يزيد بن معاوية يسمى حكيم آل مروان، وكان فاضلاً في

---

(١)أبو داود، ١٩٩٧، مج ٣، ص ٣١٨ وكذلك، الترمذي، ١٩٧٥، مج ٥، ص ٦٧.

(٢) ابن النديم، ١٩٩٧، ص ٣٠٠.

نفسه، وله همة ومحبة للعلوم، خطر بباله الصنعة، فأمر بإحضار جماعة من فلاسفة اليونانيين ممن كان ينزل مدينة مصر، وقد تفصح بالعربية وأمرهم بنقل الكتب في الصنعة من اللسان اليوناني والقبطي إلى العربي، وهذا أول نقل كان في الإسلام من لغة إلى لغة، ثم نقل الديوان -وكان باللغة الفارسية- إلى العربية في أيام الحجاج). وكذا فعل الخليفة عمر بن عبد العزيز، حيث نقل بعضًا من علماء مدرسة الإسكندرية إلى مدرسة أنطاكية[١]. وقد اقتصرت الترجمة في هذا العهد على الكيمياء والفلك والطب[٢]. وأول من نقل ديوان العراق من الفارسية إلى العربية صالح بن عبد الرحمن كاتب الحجاج، وذلك بعد سنة ثمانين [٣].

٣,١,١ الترجمة في عهد الدولة العباسية:

استمرت الترجمة للكتب الأجنبية على اختلاف مذاهبها في العهد العباسي، فترجمت كتب اليونان وفارس والهند وغيرها، وتميزت الترجمة في هذا العهد بالتوسع والشمول، فلم تقتصر على علم ولا فن، بل توسعت إلى الفلسفة والمنطق والعلوم التجريبية والسياسية والتاريخية وسير الملوك، والكتب الأدبية والدينية وغيرها [٤].

وباعتبار العلاقة بين الدولة العباسية وأهل فارس التي وطدت دعائم الدول العباسية فقد حظيت الكتب الفارسية باهتمام من قبل الخلفاء والوزراء، وبرع المترجمون لها براعة فائقة، وتوالت عليهم الأعطيات والأجور، ومن أشهر المترجمين للكتب الفارسية:

---

(١)ابن أبي أصيبعة، د.ت، ص ١٧١.

(٢) عيسى، د.ت، ص ٢٣٥.

(٣)المروذي، ١٩٩٥، ص ١٣٦.

(٤)عيسى، د.ت، ص ٢٣٥.

- ابن المقفع: وهو من أعلام العصر العباسي الأول، وصاحب بلاغة وعلم باللغة والترجمة، وقد برع في اللغتين العربية والفارسية أيما براعة، وترجم العديد من الكتب التي كان لها تأثيرًا كبيرًا على الساحة الإسلامية، فترجم من الكتب: (خداي نامة) وهو في سير ملوك الفرس، و(آيين نامة) في أنظمة ملوك الفرس، و(تنسر) و(التاج) في سيرة ملك فارس كسرى، و(الأدب الكبير)، و(اليتيمة)، و(رسالة الصحابة)، وترجم كتب بزرجمهر، وجاويدان خرد، وعهد أردشيربن بابك إلى ابنه سابور، كما ترجم إلى العربية بعض كتب أرسطو المترجمة من اليونانية إلى الفارسية[1].

- الفضل بن نوبخت أبو سهل الفارسي، من أئمة المتكلمين، كان فِي زمن هارون الرشيد، وولي خزانة كتب الحكمة، وكان ينقل من الفارسية إلى العربية ما يجده من كتب الحكمة الفارسية، ومع وله في علمه وكتبه على كتب الفرس، ومنها: كتاب البهطمان فِي المواليد، والفأل النجومي، والمواليد، والتشبيه والتمثيل، والمنتحل من أقاويل المنجمين في الأخبار والمسائل وغيرها [2].

- ومن أشهر النقلة والمترجمين من الفارسية إلى العربية أيضًا: موسى ويوسف ابني خالد، وأحمد بن يحيى البَلَاذُري، والفضل بن سهل، وغيرهم كثير [3].

وقد كان لهذه الكتب تأثيرها في الساحة الإسلامية التي كانت تعج بآلاف العلماء والأدباء والمثقفين، فأقبل جمع من الناس عليها، بينما حذر

---

(١) الجهشياري، ١٩٣٨، ص ٢٢١ وكذلك، عيسى، د.ت، ص ٢٣٦.

(٢) القفطي، ٢٠٠٥م، ص١٩٤.

(٣) ابن خلكان، ١٩٩٤، مج٧، ص٣٥٧) (عكاشة، ١٩٩٢، ٥٤

آخرون منها، واشتد الجدل حول الكتب المترجمة، وكان أشده حول الأفكار التي ظهرت بعد الترجمة والقواعد الجدلية التي أخذت منها وطبقت في باب العقيدة وعلم الكلام، وهذه المناقشات الواسعة قد أثرت في المجتمع الإسلامي فكريًا، وزادت من ثقافته وحذقه.

وقد نشطت الترجمة في بداية العهد العباسي، ووصلت إلى ذروتها في عهدي هارون الرشيد والمأمون، فأنشأ المأمون في بغداد بيت الحكمة، وهو مجمع علمي، ومرصد فلكي، ومكتبة عامة، وأنفق في إنشائه مائتي ألف دينار، وأقام فيه طائفة من المترجمين وأجرى عليه مال أرزاق من بيت المال، وجلبت الكتب والدواوين من أنحاء الأرض إلى بغداد، فترجمت أمهات الكتب الفارسية وغيرها إلى اللغة العربية، وكافأ المأمون المترجِم على عمله مثل وزن الكتب التي ترجمها ذهبًا(١).

ويجدر الإشارة إلى أن النشاط العلمي لم يكن مجرد الترجمة وحسب، بل كانت ترجمة علمية دقيقة، ووضعوا قواعد الترجمة، ثم تلا ذلك التعليق والنقد، فنخلت الكتب نخلاً، وانتقدت نقدًا شديدًا أظهر معادنها الجميلة، وعرى جوانبها الركيكة والهزيلة، وبين مواضع السقط والخرافة، ثم تلا ذلك التأليف البناء الجديد ضمن قواعد ومبادئ وضعها علماء المسلمين، وهذا من التطوير الذي حققه المسلمون، فلم يحبسوا أنفسهم ضمن كتب القوم، بل تطوروا وطوروا، وابتكروا العلوم والقواعد، ومرت هذه المراحل بما يأتي (٢):

- النقل والترجمة.

(١) ديورَانت، ١٩٨٨،مج ١٣، ص ١٧٨.

(٢) عيسى، د.ت، ص ٢٣٣.

- الشرح والتفسير.
- النقد والتصحيح.
- الإضافة والابتكار.

ولكن هذا النشاط الكبير في الترجمة لم يدم طويلاً، حيث اختفى المترجمون من المكتبات، وتوقف نشاط الترجمة تقريبًا في عهد الواثق، ويرجع البعض السبب في ذلك إلى تقدم المسلمين في المجال العلمي؛ مما أغناهم عن الاشتغال بتراث غيرهم [١].

ومهما يكن فإن الترجمة للموروث الفكري على مختلف مجالاته، قد أثر على الفكر السياسي الإسلامي، وفكر المسلمين في كافة المجالات الثقافية والفكرية الفلسفية وغيرها، وقد كانت المعتزلة أكثر الفرق الإسلامية اشتغالاً وتأثرًا بالترجمة والفلسفات والجدليات، واستخدموها في الجدل مع أصحاب الملل والنحل، وبالغ الجاحظ [٢] في وصف المعتزلة فقال: (لولا مكان المتكلمين لهلكت العوامّ من جميع الأمم، ولو لا مكان المعتزلة لهلكت العوامّ من جميع النّحل. فإن لم أقل، ولولا أصحاب إبراهيم وإبراهيم [٣] لهلكت العوامّ من المعتزلة، فإني أقول: إنه قد أن هجلهم سبلا وفت قلهم أمورًا، واختصر لهم أبوابًا ظهرت فيها المنفعة، وشملتهم بها النعمة).

(١)مفتي، ١٤٢٤ هـ، ص٧٣.
(٢) ١٩٩٦، مج ٤، ص ٢٠٦ .
(٣) هو: إبراهيم بن سيار أبو إسحاق النظام ورد بغداد، وكان أحد فرسان أهلال نظروا لكلام على مذهب المعتزلة، وهو الذي يقصده الجاحظ بقوله: أصحاب النظام المعتزلة (الخطيب، ٢٠٠٢، مج ٦ ، ص ٦٢٣).

قلت: وهذا الكلام فيه مبالغة مجحفة، وادّعاء ينبئ على تعصب لمذهبه وأصحابه، وإلا فالمعتزلة كغيرها من الفرق المتأثرة بالترجمة والفلسفة الأجنبية قد نالها نصيب من النقد والاعتراض، وكل هذا الجدل الواسع هو ناتج عن تلك الترجمات لكتب الإلهيات والجدل والفلسفات الأجنبية، وهو دليل على الأثر الذي تركته تلك الكتب في البيئة الإسلامية النشطة المليئة بالحيوية والبحث والانفتاح على الآخرين.

٢,١. نقل التراث السياسي الفارسي (الساساني) وتأثيره على الفكر السياسي الإسلامي:

تقدم أن الترجمة في العصر العباسي كانت لجميع العلوم، ولم تقتصر على علم أو فن، ومنها العلوم السياسية، وكانت الحضارة الفارسية من أكثرها تأثيرًا في الساحة العباسية؛ لقرب مسلمي الفرس والخرسانيين من العباسيين، فكان أدعى للإمعان في ترجمة علومهم وحضارتهم الفارسية، وكانت للكتب السياسية أهمية بالغة للدولة العباسية الناشئة، والتي كانت تتطلع للاستفادة من علوم الآخرين وتجاربهم؛ لتثبيت حكمهم وترسيخ الدولة وتوطيدها، وقد أشرنا لبعض الكتب التي ترجمها ابن المقفع وغيره وسنوضح هنا مجالات بعضها، ومن تلك الكتب ما يأتي الندوي [(١)]:

أ. **(سياسة الملك)**: وهو كتاب في سير الملوك وأخبارهم وأساليب الحكم والسياسة، والنظم الإدارية والمالية [(٢)].

ب. كتاب **(تنسر)**: ويحتوي على معارف ومواضيع حول الحكم

---

(١)الندوي، ٢٠١٨، ص ٣١-٣٣.

(٢)ابن النديم، د.ت، ص ١٣٠-١٣٢ وكذلك، محمدي، ١٩٦٤، ص ١٠–١٦.

والأخلاق والنظم الإدارية والسياسية للدولة الساسانية، وقد نقله ابن المقفع إلى اللغة العربية.

ج. **(كهناماه أيآييننامهأونامك)**: وتعني كتاب الرسوم، ويقول عنه المسعودي [(١)]: (كتاب الرسوم، وهو عظيم في الألوف من الأوراق، لا يكاد يوجد كاملاً إلا عند الموابذة[(٢)] وغيرهم من ذوي الرئاسات، والموبذ لهم في هذا الوقت المؤرخ به كتابنا وهو سنة ٣٤٥ بأرض الجبال والعراق، وسائر بلاد الأعاجمان ماذا بناشر هشت، وكان الموبذ قبله اسنديار بن اذرباد بن انميذ).

د. **(تاج نامه)**: ويحتوي على مجموعة من الوثائق حول ملوك فارس وتعاليمهم ومراسيمهم وقوانينهم المتعلقة بالآداب السلطانية، وفيها مجموعة من الوصايا الساسانية التي وجهها كسرى الثاني إلى أبنائه وكتّابه وخازنيه وحجّابه، وقد نقل عن هذا الكتاب المترجَم بعض المؤلفين والمؤرخين كالطبري [(٣)].

ه. **(خدايه نامه أو شاه نامه)**: ويعرف باسم (سير ملوك العجم أو سير الملوك)، وقد أخذ هذا الكتاب مكانته الكبيرة بين كتب السياسة والنظم الإدارية، وكان له صيت كبير عند الخلفاء العباسيين، وقد حاول بعض الأدباء أمثال محمد بن الجهم البرمكي وزادويه بن شاهويه ومحمد بن مطيار الأصفهاني وهشام بن قاسم الأصفهاني ترجمته ترجمة حرة مرة أخرى باللغة العربية، وهذه المحاولات المتكررة لترجمته يدل على تداوله

(١) المسعودي (د.ت)، ص٩١.

(٢)الموابذة: جمع موبذ، وهو قاضي المجوس، والجمع موابذة والهاء للعجمة وكذلك، البلخي، د.ت، ص ١٣٨.

(٣) كريستنسن ١٩٩٨، ص ٥٠.

وقبوله في الأوساط العلمية والثقافية والسياسية ورجال الحكم والإدارة[١].

وبذلك نجحت الثقافة الفارسية في وضعت أثيراتها الهائلة في جميع جوانب الشؤون السياسية والحضارية للدول الإسلامية بواسطة الكوادر من العلماء والأدباء ذوي الجذور الفارسية، كابن المقفع وغيره ممن قدمنا ذكرهم، وأصبحت تمثل النظريات السياسية لملوك إيران والهند واليونان في الأمة الإسلامية [٢].

ولا شك أن هذه الكتب المترجمة كان لها أثرها البالغ في السياسة والفكر على حد سواء، فهذا الإمام الطبري ينقل عنها وهو أحد أعلام المسلمين في التاريخ والتفسير، وكذا بعض الخلفاء والوزراء وغيرهم قد أخذوا ببعض تلك الآداب في السياسة والحكم.

٢. أوجه الاختلاف بين الثقافة العربية والثقافة الفارسية في الفكر السياسي للدولة العباسية:

١،٢. التأثيرات الفكرية في مسألة الحكم:

تجمع كتب التاريخ على وجود علاقات وثيقة بين الدولة العباسية ومسلمي الفرس، وترجع تلك العلاقة إلى ما قبل قيام الدولة؛ حيث بدأت الدعوة العباسية على يد على إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس في بلاد فارس، ويرجع سبب اختياره خرسان وفارس إلى اضطراب العلاقة بين الأمويين وأهل هذه البلدان، فاستغل هذا الخلاف والاضطراب في نشر الدعوة إلى الخلافة في آل البيت، واختار قادتها من

(١) كريستنسن، ١٩٩٨، ص ٤٦–٤٧.

(٢) محمدي، ١٩٦٤، ص ١٠–١٦.

الفرس، فأبو مسلم الخرساني كان يمثل القائد العسكري للشيعة، وقد ساند بني العباس بقوة، وكان قائدًا شجاعًا محنكًا، دعا بالطاعة إلى بني العباس، وأطاعه أهل خرسان ثم مرو، وهزم نصر بن سيار أمير خرسان من قبل الأمويين، واستمر في انتصاراته إلى أن دك معاقل الخلافة الأموية[١].

وبسقوط الخلافة الأموية تبدأ مرحلة جديدة من تاريخ الأمة الإسلامية، هي الخلافة العباسية وأول خلفاؤها أبو العباس السفاح، وبفضل الخرسانيين والفرس عمومًا تم تثبيت أركان هذه الخلافة، وقد رد العباسيون لهم الجميل، فكانت الوزارة وكثير من المناصب العليا من نصيب الفرس.

ويظهر التأثير الفارسي على الحكم في الأمور الآتية:

أ. التشابه في نظام الحكم وإدارة الدولة بين العباسيين والإمبراطورية الساسانية، فالدولة العباسية أخذت بكثير من الأنظمة الإدارية والمالية، كنظام الوزارة والتوريث واستخدام العبيد وغير ذلك[٢].

ب. **تولى الكثير من ذوي الأصول الفارسية منصب الوزارة:** ومنهم أبو سلمة الخلال في عهد السفاح، ثم خالد بن برمك واستمر إلى عهد الرشيد، وقد عظم أمرهم وشأنهم في الدولة إلا أن حياتهم انتهت بالنكبة الشهيرة، ووزر الفضل بن سهل بعدهم، كما استوزر المأمون الحسن بن سهل، ثم أحمد بن أبي خالد وأحمد بن يوسف، وغيرهم من الوزراء من أصول فارسية [٣].

---

(١) الطبري، ١٤٠٧هـ، مج٤، ص٣٠٥.

(٢)حسن، ١٩٦٤، مج ٢، ص ٢٥٤.

(٣) المسعودي، د.ت، ص ٢٩٤ وكذلك، إبراهيم، ١٩٧٥، ص ٥٢.

ج. **تأثر بعض الخلفاء بأفكار المنجمين الفرس، واستخدموها في قضاء الحكم والحروب**: ومن ذلك ما حكاه ابن خلكان [1] بقوله: (حكى أبو الحسين علي بن أحمد السلام يفيتاريخولاة خراسان أن طاهر بن الحسين...، لما عزم المأمون على إرساله إلى محاربة أخيه محمد بن الأمين نظر الفضل بن سهل في مسألته، فوجد الدليل في وسط السماء، وكان ذا يمينين، فأخبر المأمون بأن طاهرًا يظفر بالأمين ويلقب بذي اليمينين، فتعجب المأمون من إصابة الفضل، ولقب طاهرًا بذلك، وولع بالنظر في علم النجوم).

د. **احتفال الخلفاء وكبار رجال الدولة بالأعياد الفارسية،** كالنوروز والمهرجان ورام روز، وهذه الأعياد والاشتراك فيها قد مثلت الصلة والعلاقة بين الفرس والعباسيين من الناحية الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والدينية، إلا أن حضور الخلفاء وكبار رجال الدولة قد أعطاه صبغة سياسية، ودل على التأثير الفارسي قد وصل إلى رأس الحكم [2].

هـ. **الثقة بالموالي الفرس والوصية بهم**: وصل التأثر بأهل فارس إلى درجة الوصية بهم من قبل بعض الخلفاء، ومن ذلك ما فعله الخليفة المنصور؛ حيث أوصى ابنه بالفرس فقال: (وانظر مواليك، فأحسن إليهم وقربهم، واستكثر منهم؛ فإنهم مادتك لشدة إن نزلتبك، وما أظنك تفعل، وأوصيك بأهل خراسان خيرًا، فإنهم أنصارك وشيعتك الذين بذلوا أموالهم في دولتك، ودماءهم دونك، ومن لا تخرج محبتكم من قلوبهم، أن

(١) ابن خلكان ،١٩٩٤، مج ٤، ص ٤١.
(٢)إبراهيم، ١٩٧٥، ص ٥٣.

تحسن إليهم وتتجاوز عن مسيئهم، وتكافئهم على ما كان منهم، وتخلف من مات منهم في أهله وولده، وما أظنك تفعل) [١]. وهذا الاهتمام بالفرس والوصية لهم وتقديمهم من العوامل التي أدت إلى حضورهم في أروقة الدولة.

و. **تمكنهم من الدولة:** فقد تغلغلوا في مفاصل الدولة وسيطروا على أغلب المناصب، وأصبحت هذه المناصب تعرف بهم ولهم، كالوزارة والولاية والكتابة والحجابة وغيرها، وكانوا يتوارثون هذه المناصب عن آبائهم أحيانًا، كحال البرامكة، وقد كانت أمور الدولة ترجع إلى الوزراء يولون ويعزلون، وغالبًا ما يولون أصحابهم، بل كانوا في بعض فترات الدولة يسيرون الدولة برمتها، يقول ابن خلدون [٢]: (فلمّا جاءت دولة بني العبّاس واستفحل الملك وعظمت مراتبه وارتفعت وعظم شأن الوزير وصارت إليه النّيابة في إنفاذ الحلّ و العقد، تعيّنت مرتبته في الدّولة وعنت لها الوجوه وخضعت لها الرّقاب وجعل لها النّظر في ديوان الحسبان لما تحتاج إليه خطّته من قسم الأعطيات في الجند فاحتاج إلى النّظر في جمعه وتفريقه، وأضيف إليه النّظر فيه، ثمّ جعل لها لنّظر في القلم والتّرسيل؛ لصون أسرار السّلطان، ولحفظ البلاغة؛ لما كان اللّسان قد فسد عند الجمهور، وجعل الخاتم لسجلّات السّلطان؛ ليحفظها من الذّياع والشّياع، ودفع إليه فصار اسم الوزير جامعً الخطّتي السّيف والقلم وسائر معاني الوزارة والمعاونة حتّى لقد دعي جعفر بن يحي بالسّلطان أيّام الرّشيد إشارة إلى عموم نظره وقيامه بالدّولة، ولم يخرج

(١) الطبري، ١٤٠٧ هـ، مج ٤، ص ٥٤١.

(٢) ابن خلدون، ١٩٨٨ م، مج ١، ص ٢٩٦.

عنه من الرّتب السّلطانيّة كلّها إلّا الحجابة الّتيهي القيام على الباب فلم تكن لهل استنكافه عن مثل ذلك).

ز. **التأثر بحال ملوك فارس (ساسان) في البذخ والترف**: وحالة البذخ لم تكن موجودة في عهد الرسول ﷺ ولا في عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، فقد كانوا يعيشون حياة بسيطة متواضعة، متمثلين بذلك قول الله تعالى: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا (٢٦) إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ (الإسراء، ٢٦- ٢٧)، وكانوا يديرون أمر الدولة من المساجد ومن بيوتهم، ولما جاء عهد بني أمية وتوارثوا الخلافة وبدأت الدنيا تفتح على الناس أخذ الخلفاء في التوسع من الملاذ، وازداد الترف والبذخ، ولما جاء عهد الدولة العباسية ظهرت الفخامة والرفاهية ذروتها، يقول الصلابي [1]: (وقد كان الأموي وبرغم وجود الترف بينهم أقل فسادًا بالمال من العباسيين؛ لأنهم كانوا أكثر انشغالاً بتثبيت دولتهم من ناحية، وبالجهاد في سبيل الله من ناحية أخرى، فأما العباسيون فبعد أن استتب لهم الملك أخذ الترف يسري بينهم سريعًا، خاصة بفعل الحاشية الفارسية المفسدة المتعمدة للفساد، ومن قصور الخلافة انتقل الترف بالعدوى إلى قصور الأمراء والوزراء، ثم قصور التجار الذين وصل دخلهم في التجارة العالمية إلى ملايين الدنانير، وشيئًا فشيئًا غلب الفساد على عاصمة الخلافة بغداد ثم العواصم الإسلامية الأخرى).

ح. **التصرف في المال العام**: ويعد هذا الأمر من الأمور التي تحصل عادة في أغلب الدول، إلا أن تصرف الفرس فيه كان أحد الدلائل على

(١) الصلابي، ٢٠٠٨، مج ١، ص ٢٨١.

ذروة النفوذ الفارسي في الدولة العباسية، فقد كان بعض الولاة الفرس يتصرف بحرية كبيرة إن لم تصل في بعض الأحيان إلى الحرية المطلقة، وقد كانوا يتعاونون فيما بينهم لتجاوز بعض المخالفات والتغطية على قضايا الفساد، وهو دليل أيضًا على تلاعب بعض الفرس بأموال الدولة وتبديدها، ومن ذلك ما ورد عن أبي عبيد الله معاوية بن يسار وهو من أصل فارس؛ فقد تولى الوزارة للمهدي، وكان قبل ذلك كاتبًا له في عهد المنصور، وحين أمّر ابنه المهدي على الري، أذن لأبي عبيدة في الإنفاق والتصرف في المال العام بالري، وحين كان على الري مع المهدي أنفق أموالاً طائلة وعظيمة، وطالبه المنصور فيما بعد برفع حسابه وما أنفقه بيده، فخاف واشتد همه وضاقت عليه الدنيا، فدخل خالد بن برمك وأنقذ الموقف برأي أسداه له، وخلاصته أن يذهب إلى المهدي ويقنعه أن يذهب إلى المنصور ويخبره أن المال صرف بمعرفته وأن مطالبة كاتبه بمال أجراه المهدي بتوقيعه أمر يشكك فيه لدى الناس ويقلل من قيمته، ففعل المهدي فانصرف المنصور عن مطالبة أبي عبيد الله [(١)].

ومهما يكن من التأثيرات الفارسية على الحكم في الدولة العباسية إلا أنها ظلت دولة إسلامية لها خصوصيتها وهويتها الدينية، فلا يتولى منصب الخليفة والوزارة التفويضية إلا مسلم، بل وكانت كل المناصب والعمال يتولاها المسلمون، غير أن منصب الخليفة لا يكون إلا عربي، وكذلك الجند في الغالب، وحتى الفرس الذي تقلدوا المناصب العليا في الدولة هم مسلمون من أصول فارسية.

---

(١)الجهشياري، ١٩٣٨، ص ١٣٦-١٢٨.

ويجدر الإشارة إلى أن أبرز التأثيرات الفارسية كانت في الحكم السياسي العباسي؛ فقد وصلت إلى التفرد بالحكم وإدارة أعمال الدولة برمتها، خاصة في العصر العباسي الأول، غير أن الأمور كانت تنتهي ببعض الوزراء إلى القتل والسجن، ومن ذلك قصة البرامكة المشهورة، وقصة يعقوب بن داود كما سيأتي.

٢,٢. التأثيرات الفكرية في مسألة الإمامة:

مثلت الدولة الساسانية صورة الاستبداد السياسي حيث توارثت الحكم في أسرة بعينها، واعتبروا ذلك حقًا إلاهيًا لهم. وقد شابهت الدولة العباسة الفرس في بعض جوانبها، فقد كانت خراسان مركز الديانات والعقائد الفارسية، وكان أهلها على استعداد لقبول عقيدة التشيع لآل البيت؛ لأنهم كانوا يؤمنون بنظرية الحق الملكي الإلهي التي كانت سائدة في بلاد فارس منذ أيام آل ساسان، فالتشابه قوي بين عقيدة الفرس وعقيدة التشيع في الحق الملكي المقدس، وكان الفرس الذين دخلوا حديثًا في الإسلام ينظرون إلى الأمويين باعتبارهم غاصبين للملك، ولهذا وجب قتالهم وانتزاع الحق المقدس منهم [١].

قلت: وأمر الإمامة وحصرها في الأئمة الاثنا عشر كان من أبرز صفات الشيعة الإمامية الاثنا عشرية، وأما العباسيون فلم يكن يعرف عنهم ذلك، غير أنهم كانوا يتفقون مع الشيعة العلوية في الحق المقدس في الحكم، وأن الخلافة في آل البيت، وأنهم هم الأحق بها من سائر البشر، وأما شيعة آل البيت على اختلاف بطونهم وأسرهم فظلوا يقاتلون، وقد اختلف العباسيون معهم، وتقاتلوا في أكثر من موقعة، وثار

(١)النعيمي، ص ١٢٥وكذلك، أحلام يوسف، ٢٠١٨، ص ١٥.

العلويون أكثر من مرة في وجه الدولة العباسية.

وفي بعض الأحيان قد يميل بعض الوزراء الفرس إلى العلويين الطامعين في الإمامة والخلافة والذين يعتبرونها حق إلهي لهم، ومن ذلك ما فعله يعقوب بن داود بعد توليه الوزارة في عهد المهدي، حيث أرسل إلى الزيدية في الشرق والغرب، فأتى بهم من كل حد وصوب، وولّاهم أمور الدولة، فكان هذا مما عتب به عليه، وهو أمر فيه من الخطورة على أمر الدولة العباسية ما فيه[(١)].

يقول العمرو [(٢)]: (والحق أن هذا التصرف الخطير من الوزير يعقوب بن داود له عواقبه الوخيمة على مستقبل الدولة العباسية؛ ذلك لأنه فتح الباب أمام الزيدية ليتغلغلوا في الدولة ويكثر نفوذهم، والعداء بين الزيدية بل العلويين عمومًا والدولة العباسية صار تقليديًا، ويكفي أن تعرف أن أخطر ثورتين تعرضت لهما الدولة العباسية في بدايتها كانت ثورة النفس الزكية، وثورة أخيه إبراهيم وذلك سنة ١٤٥ هـ).

٣,٢. التأثيرات الفكرية في مسألة الطاعة:

في التعاليم الإسلامية ليست هنالك طاعة مطلقة للحاكم؛ إذ لا طاعة له في معصية أو منكر، إنما الطاعة في المعروف، فالطاعة المطلقة هي لله تعالى وحده، ثم تأتي تبعًا لها طاعة رسوله ﷺ، يقول الله -جل شأنه: - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (النساء، ٥٩)، ولما كان الدين هو

(١)الطبري، ١٤٠٧ هـ ، مج ٤، ص ٥٧٥.

(٢)العمرو ، ١٩٧٩، ص ٢٢١.

المحرك الأساسي للناس استغله الزعماء والملوك، وصبغوا أنفسهم بصبغة مقدسة كي يستميلوا نفوس الناس إلى طاعتهم.

يقول بروكلمان[١] عن أبي مسلم الخرساني أنه: (اعتمد في دعايته على المعتقدات الإيرانية القديمة، ويظن أنه نشر مبادئ الحلول والتناسخ بين الأرواح، وادعى بأن الروح الإلهية المقدسة قد حلت فيه)، وتقول أحلام يوسف[٢]: (ومما ساعد على تأثر الفرس بعقائد الشيعة أن والدة علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب كانت فارسية، وقيل: إن اسمها حرار بنت كسرى بن يزدجر، وقيل أيضًا: سلافة بنت يزدجر آخر ملوك فارس، ولذلك كان الفرس يعتقدون أن للعلويين حق الملك؛ لأنهم ورثة آل ساسان من الأم والأئمة الشرعيون من ناحية الأب؛ حيث كان يقال لعلي بن الحسين: ابن الخيرين قريش وفارس).

وهم بهذا يعطون صبغة مقدسة على الزعماء كي يضمنوا طاعتهم، وتشريع قتال من خالفهم، حيث يشاع في نفوس الرعية أن هذا القائد مؤيد من الله تعالى الذي أعطاه الحق في الحكم، فلا يجوز الخروج عنه ولا معصيته، وهذا أمر فيه من المشابهة للفرس وغيرهم من طواغيت الأرض من ناحية إعطاء القداسة والطاعة المطلقة، وهو أمر لا يقره الإسلام؛ إذ الطاعة بالمعروف هي المشروعة، كما أن إعطاء الحق الإلهي لأحد من البشر، لا يتوافق مع نصوص الإسلام. وهذا ما قرر في كتاب سؤال الأخلاق[٣] بقوله: (فمعظم مؤلفي الآداب السلطانية خلال عصر التدوين وبعده لم ينقلوا كثيرًا عن الفرس في باب الطاعة، وحتى ابن المقفع في آثاره).

(١)بروكلمان، ١٩٦٨، ص ١٦٧.

(٢) أحلام يوسف ، ٢٠١٨، ص ١٥.

(٣) مجموعة مؤلفين، ٢٠١٨، ص ٦.

ويقول الندوي [1]: (وحاول جميع هؤلاء العلماء والمؤرخين نقل النظريات السياسية الساسانية إلى الثقافة الإسلامية ونشرها بهدف المحافظة على استمرار السلطة وبقاء الحكم المنفرد على أساس أن السلطان ظلا لله على الأرض).

وإذا كانت الطاعة في الدين الإسلامي معروفة ومضبوطة جوانبها، فإنا لا نجد مراجع تتحدث عن الطاعة كنظام سياسي للدولة في العهد الفارسي الساساني، ولكن ذلك لا يعني عدم وجودها، فدولة بحجم فارس وحضارتها لا تخلو من نظام الطاعة والانضباط، إلا أن المعروف في ملوك الدول الطاعة العمياء من قبل الأتباع للسادة والملوك، وهي بهذا تخالف تعاليم الإسلام التي توجب طاعة ولي الأمر في غير معصية وكفر بواح.

٣. وسائل تغلغل القيم الفارسية في الفكر السياسي للدولة العباسية:

٣,١. فن الخطابة:

لعبت الخطابة دورًا مهمًا في بداية عصر العباسيين؛ حيث كانت إحدى أهم الوسائل التي اتخذها العباسيون لبيان دعوتهم وبيان حقهم في الخلافة والولاية، وكان دعاة العباسيين من أبلغ الناس في الخطابة والإلقاء والبيان، وكذا كان أتباعهم من الخرسانيين وأهل فارس، ولما انتقلت الخلافة إليهم كان الخلفاء أمثال العباس والمنصور والمهدي والرشيد وغيرهم من آل بيتهم كانوا هم خطباء المنابر، يقول الجاحظ [2]:

(١)الندوي ، ٢٠١٨، ص ٣١-٣٣.

(٢) الجاحظ ،١٤٢٣ هـ، مج ١، ص ٢٧١.

(لم يكن لهم نظراء في أصالة الرأي وفي الكمال والجلالة، وفي العلم بقريش والدولة، وبرجال الدعوة، مع البيان العجيب، والغور البعيد، والنفوس الشريفة، والأقدار الرفيعة، وكانوا فوق الخطباء، وفوق أصحاب الأخبار، وكانوا يجلون عن هذه الأسماء إلا أن يصف الواصف بعضهم ببعض ذلك).

ولا عجب أن يكون أهل فارس بعد إسلامهم من أخطب الناس وأبلغهم، ولا عجب أن يكون اهتمامهم بالأدب واللغة وعلومها من أكثر الفنون اهتمامًا، فكانت الخطابة وفن الكلام وترتيبه من أبرز سمات القوم، فعلموا وتعلموا فنون الكلام مع الخلفاء والأمراء والولاة والقضاة، واستطاعوا بفنون الخطابة ورصانة التعبير أن يكسبوا قلوب الخلفاء والاتباع، يقول عن ذلك الجاحظ [(١)]:

(وقد علمنا أن أخطب الناس الفرس، وأخطب الفرس أهل فارس، وأعذبهم كلامًا وأسهلهم مخرجًا وأحسنهم دلّا وأشدهم فيه تحكمًا أهل مرو وأفصحهم بالفارسية الدريّة وباللغة الفهلوية أهل قصبة الأهواز،... قالوا: ومن أحبّ أن يبلغ في صناعة البلاغة، ويعرف الغريب، ويتبحر في اللغة؛ فليقرأ كتاب كاروند، ومن احتاج إلى العقل والأدب، والعلم بالمراتب والعبر والمثلات، والألفاظ الكريمة، والمعاني الشريفة، فلينظر في سير الملوك، فهذه الفرس ورسائلها وخطبها وألفاظها، ومعانيها).

وإذا كان القوم على هذه المكانة من الخطابة وجودة الكلام لا غرو أن أصبحوا هم الوزراء والقادة والكتبة وأصحاب الدواوين على بساط الخلافة العباسية ناهيك عن تأثر الناس بهم في مجالات الحياة الواسعة

(١) الجاحظ ، ١٤٢٣ هـ، مج ٣، ص ١٠.

من الأدب واللغة والإدارة، فمن يملك فن الخطابة مَلكَ وسيلة إيصال المعلومة، وضمن نشر فكره ورأيه، وتحقق له اقتناع الناس وتأثرهم به.

ولكن الأمر لا يبدو كذلك لكل الفرس والموالي، فقد كان أغلبهم يتكلم اللغة الفارسية، وإنما يقصد الجاحظ بذلك المتعلمين والمثقفين منهم، وأما عامة الناس فهم على لغتهم، بل انعكس ذلك سلبًا على اللغة العربية وفصاحتها، يقول الدكتور قبايلي[1]: (ولما تم الأمر لبني العباس وقضوا على أعدائهم الأمويين ثم على شركائهم الشيعة خفتت حدة القول، ولم يعد ثمة ما يحفز الخطباء على التصدي للناس، واصطناع الترهيب والترغيب كذلك ضعفت الخطابة في الجيوش بعد أنا نقضى عهد الفتوح، وصار الكثير من الجنود من الجيش الإسلامي نفسه من الأعاجم، فرسًا أو تركًا لا يفقهون العربية، ولا يتأثرون ببلاغتها، ولم يعد للخطابة في النفوس بوجه عام ما كان لها من منزلة في عصر الراشدين والأمويين، حين كانت الفن العربي الأصيل الذي كان قوامه البديهية والارتجال، وهكذا انحسرت الخطابة في ضحى العصر العباسي، وكاد شأنها يقتصر على فئة الوعاظ وأئمة المساجد، ولمتعد تتجاوز في غالب الأحوال نمط الخطابة الدينية).

قلت: وقد بالغ قبايلي في التقليل من شأن اللغة والعلوم في العصر العباسي، وهو أمر لا نتفق معه، فإن المنصف يدرك جليًا عظمة التدوين، وحركة الترجمة، وظهور المذاهب الفقهية، في هذا العصر، وقد أُلف في الأدب والشعر والبلاغة واللغة وعلومها ووضعت قواعدها، وقد كانت بغداد والبصرة والكوفة مدارس نحوية وفقهية تميزت كل واحدة منها

(١) قبايلي ، د.ت، ص ٨-٩.

بميزات، وظهرت العلوم في ثورة علمية هائلة، فضلاً عن أن الخلفاء هم خطباء القوم، والجاحظ معاصر لبعضهم، وهو أدرى بهم، وكلامه يثبت النهضة العلمية، وإنما يصح من قول قبايلي التأثر ببعض مفردات اللغة الفارسية وغيرها من اللغات نظرًا لاختلاط الأمم والشعوب على اختلاف لغاتها في مجتمع الدولة العباسية، وهذا أمر طبيعي مع سعة الدولة واتساع رقعتها، ثم هو نفسه في موضع آخر يقرر النهضة العلمية في هذا العصر ويتحدث عن عوامل الازدهار.

٢,٣. المراسلة والرسائل:

وإذا كان موالي الفرس قد سيطروا على الوزارة وكافة الإدارات خاصة في صدر الدولة العباسية، فإن الكتابة كانت بأيديهم، فهم الكتبة والمترجمون، وقادة الجند في كثير من المهام، وكانت الأوامر تصدر منهم إلى العمال، ومن تلك المراسلات والرسائل الدالة على تغلغل الفرس ما يأتي:

أ. منح يحيى بن خالد البرمكي امتيازات غاية في الخطورة، فكان أول من أمر من الوزراء؛ حيث استقل بمكاتبة العمل، ولم يكن لمثل هذه المكاتبات أن تصدر في السابق إلا عن الخليفة نفسه، فكان هارون الرشيد أول من سمح بها[١].

ب. يقدم لنا ابن خلدون[٢] صورة واضحة على تأثير الفرس في المراسلات والرسائل، بقوله: (وكان الكاتب للأمير يكون من أهل نسبه ومن عظماء قبيله كما كان للخلفاء وأمراء الصّحابة بالشّام والعراق؛ لعظم أمانتهم وخلوص أسرارهم، فلمّا فسد اللّسان وصار صناعة اختصّ بمن

(١) الجهشياري، ١٩٣٨، ص ١٧٧-١٧٨وكذلك، العمرو، ١٩٧٩، ص ٢٢٩.

(٢) ابن خلدون، ١٩٨٨، مج ١، ص ٣٠٦.

يحسنه، وكانت عند بني العبّاس رفيعة، وكان الكاتب يصدر السّجلّات مطلقة، ويكتب في آخرها اسمه، ويختم عليها بخاتم السّلطان، وهو طابع من قوش فيه اسم السّلطان أو شارته يغمس في طين أحمر مذاب بالماء ويسمّى طين الختم، ويطبع به على طرفي السّجلّ عند طيّه وإلصاقه، ثمّ صارت السّجلّات من بعدهم تصدّر باسم السّلطان، ويضع الكاتب فيها علامته أوّلاً أو آخرًا على حسب الاختيار في محلّها وفي لفظها، ثمّ قدت نزل هذه الخطّة بارتفاع المكان عند السّلطان لغير صاحبها من أهل المراتب في الدّولة أو استبداد وزير عليه، فتصير علامة هذا الكتاب ملغاة الحكم بعلامة الرّئيس عليه يستدل بها في كتب صورة علامتها لمعهودة والحكم لعلامة ذلك الرّئيس). ويلاحظ هنا التغلغل القوي في دار الخلافة للموالي والوزراء الفرس، والسيطرة على الكتابة والرسائل والختم، وسواء كان ذلك برضى الخليفة أو كان ناتج عن تسلط بعضهم على الأمر، وسواء قلنا بأن هؤلاء مسلمون أو لم نقل، فالكلام يعبر عن مدى تغلغل الفكر الفارسي في الدولة، واستغلالهم منصب الكتابة والمراسلات لتقوية نفوذهم، وبها نشر الفكر السياسي الفارسي.

٣,٣. الأدب واللغة:

تميز الأدب في عصر الخلافة العباسية بمزايا كثيرة، حيث بدأ التدوين، وظهرت علوم جديدة في شتى المجالات، وكان الأدب وعلوم اللغة من أكثر هذه المجالات ظهورًا، ولما بدأ عمل الترجمة أثر ذلك على أساليب الشعر العربي، خاصة أن الأدباء والمترجمين لم يكونوا على مذهب وفكر واحد.

وكان لاختلاط العرب بالأمم الأخرى إضافة إلى نقل الآداب الفارسية والهندية أثره في دخول أساليب جديدة إلى الأدب العربي بمختلف

فروعه، وفتح أذهان الشعراء وخيالهم على أبواب من القول والإبداع[١]. وقد انعكس الأدب على الساحة الإسلامية وأعطاها صبغة ثقافية رائعة، بفضل جهود الخلفاء والعلماء، ومراكز العلوم والترجمة والانفتاح على العلوم الأخرى، إلا أن الزندقة ظهرت بألوان مختلفة منها الأدبية والبلاغية ومنها المصبوغة بالشعر والرواية، وغير ذلك، ويعد الأدب من أهم الوسائل التي تغلغل من خلالها الفكر الفارسي وبرز إلى الساحة الثقافية سواء المفيد أو السيء، ومن ذلك:

أ. تضمنت أشعار كبار الأدباء والشعراء الكثير من الموضوعات الأدبية، واستحدثوا في الشعر العربي أغراضًا جديدة من المعاني والأساليب كالغزل وشعر الزندقة، وفيه الإقبال على المتع والتمدح بجمال الغلمان والإقبال على الخمر كحال بشار بن برد وهو من أصول فارسية، وقد كان ماجنًا خليعًا، تعرض للدين وفتح باب التهتك على مصراعيه، وتشبب بالنساء والشابات، وانتشر شعره الماجن والغزل في العراق، حتى لم يدع بيت من بيوت إلا وتناقلوا شعره، ولا نائحة ولا مغنية إلا تتكسب به، وعد ما يفعله من الفسق والفتنة في البصرة، ومثله أبو نواس، وغيرهما، وهذه من الآثار السيئة الدخيلة على المجتمع الإسلامي الذي يسعى إلى الحفاظ على القيم.

ب. برز على ساحة الأدب والترجمة رموز اتهمت بالزندقة، منهم ابن المقفع ومطيع بْن إياس ومنقذ بنْ زياد، قيل: إن ابْن المقفع مر ببيت نار للمجوس بعد أن أسلم، فتلمحه، ثمَّ قال[٢]:

---

١ أحلام يوسف، ٢٠١٨، ص ١٠٣

(٢) ابن الجوزي، ١٩٩٢، مج ٨، ص ٥٦.

يـــا بيـــت عاتكـــة الَّـــذِي أتعـــزل حـــذر العـــدى وبـــه الفـــؤاد موكـــل

إني لأمنحك الصدود وإنني قسمًا إليـــــك مَـــــع الصـــــدود لأميـــــل

ج. اتهم بالزندقة حماد عجرد وحماد الزبرقان وحماد الراوية، واتهم بالزندقة ووضع الحديث عبد الكريم بن أبي العوجاء، يقول العمرو[1]: (وزعم الاختلاف بين الحركات السابقة وحركة الزندقة في الجوانب أو النقاط السابقة، فإن هذه الحركات تلتقي أو تتفق من حيث المنشأ أو الأصل؛ إذ إن كلاً منها كانت فارسية المنشأ، وها هي ذي المصادر التاريخية تؤكد لنا أن كبار الزنادقة في الدولة العباسية كانوا من الفرس، ومنهم عبد الله بن المقفع الذي قتله المنصور لما تأكد له أنه زنديق وأنه يواصل الكيد للإسلام).

د. وظهرت على إثر الزندقة الردود والمؤلفات لبيان جوانب الزندقة، وبيان ما وضعه الواضعون من الأحاديث المكذوبة على النبي ﷺ، وحذروا الأمة منها ومن الزندقة عمومًا.

والكلام عن الزندقة وتاريخها يطول، وليس القصد في هذا البحث المختصر استقصاء كل ما قيل في الزندقة، أو تتبع كل ما تأثر به الأدب العربي بالفرس، كما أنه ليس كل ما نقل عن أمة الفرس باطل أو فاسد، فهناك أساليب جيدة في الأدب والبلاغة، والسياسة والإدارة ونظم الحكم، يقول الخطاط[2]: (مما نقله عبد الله بن المقفع وغيره وترجمت من الفارسية والفهلوية إلى العربية وما صنف من ذلك ابن أبي العرجاء

(١)يقول العمرو، ١٩٧٩، ص ٢٤٠.

(٢) الخطاط ، ٢٠٠٠، مج ٤، ص ٤٩٨.

وحماد عجرد ويحيى بن زياد ومطيع بن إياس من تأييد المذاهب المانية[1] والدنساقية والمرقونية[2] فكثر بذلك الزنادقة، وظهرت آراؤهم في الناس، وكان المهدي أو لمن أمر الجدليين من أهل البحث من المتكلمين بتصنيف الكتب على الملحدين ممن ذكرنا من الجاحدين وغيرهم وأقاموا البراهين على المعاندين وأزالوا شبه الملحدين فأوضحوا الحقل لشاكين).

هـ. ومع انتشار موالي الفرس في العراق إبان الخلافة العباسية، وقد كانوا هم الغالبية من الموالي، إلا أن معظمهم كانوا يتكلمون اللغة الفارسية، وكان بعضهم يجيد اللغة العربية والفارسية مثل ابن المقفع، ولذلك دخلت إلى اللغة العربية العديد من المفردات الفارسية [3].

و. وأما علاقة الأدب بالسياسة فتلخصها الدكتورة دلال[4] بقولها: (وقد كان للنفوذ السياسي الفارسي في دولة بني العبّاس أثر بارز في تحديد طبيعة الصلات الثقافيّة بين هذين الشعبين في وقت مبكر؛ حيث كانت الكتب التي موضوعها السياسة الملوكيّة عند الفرس أولى الكتب التي ترجمت بالعربيّة من الآثار الأجنبيّة في الأدب والسياسة، فوُضعت في

(١)هكذا في الأصل، ولعله من التصحيف، والصواب المنانية أو المانوية: وهي فرقة تنسب إلى ما نيبنفاتك، القائل بالنور والظلمة، ظهرت مقالته أيامسابوربناردشير ملك الفرس، وقد تبعه خلق كثير من المجوس، قتله سابوربنبهرام، وقيل: بهرامبنهرمز ، الشهرستاني، ١٤٠٤هـ، مج١، ص٢٤٣.

(٢)المرقونية: تنسب إلى مرقيون الذي وضع أسسها وعقيدتها، وزعمت أن الأصلين القديمين النور والظلمة، وأن ههنا كونا ثالثًا هو المعدل الجامع، وهو سبب المزاج؛ فإن المتنافرين المتضادين لا يمتزجان إلا بجامع، وقالوا: إن الجامع دون النور في المرتبة وفوق الظلمة، وحصل من الاجتماع والامتزاج هذا العالم ،الشهرستاني، ١٤٠٤هـ، مج١، ص٢٥١.

(٣) الجاحظ، ١٤٢٣ هـ، مج، ص ٤٠.

(٤)دلال ، د.ت، ص ٥-٦.

متناول حكّام العرب وقوادهم ثمار تجارب عديدة في الحكم والسياسة، وأصنافًا من العلوم والآداب كانت تجمع معارف العصر، وشطرًا كبيرًا من التراث الحضاريّ الإنساني، فكانت هذه التراجم أقدم كتب وجدت في اللغة العربيّة في تلك الفنون، وطبيعي أن تكون الحكم والنصائح والوصايا السياسيّة والاجتماعيّة تبعًا لهذه الحال في طليعة الكتب الفارسيّة التي تناولتها أقلام المترجمين بالنقل والتعريب، وقد نجم عن ذلك أنَّ راج هذا الجنس الأدبي في الأوساط العربيّة الإسلاميّة رواجًا منقطع النظير).

وتتلخص ظواهر التأثير المتبادل بين الأدب العربي والفارسي في الآتي [(١)]:

- التوسّع بالغزل المكشوف والجهر بالمشاعر، وكان بشّار بن برد أول من فتح هذا الباب على مصراعيه.

- الغزل بالمذكر، وهو نوع جديد من الغزل، وانتشر في العصر العباسي نتيجة لعوامل متعدّدة من زندقة وإباحة.

- زوّد شعراء الفرس الشعر العرب بمعانٍ وأخيلة جديدة، تتوافق والبيئةَ الحضاريّة للعصر العباسي.

- أولع بعض الشعراءُ في هذا العصر بالمحسّنات اللفظيّة والمعنويّة، وأُغرموا بها، فتكلفوا الجناس، وتلاعبوا بالألفاظ في حيل شتى.

- أضاف الفرس إلى اللغة العربيّة كثيرًا من المفردات، وزادوا على الأدب العربي بعض الموضوعات، وولّدوا طرائف من المعاني والخيال،

---

(١) دلال، د.ت، ص٣٤-٣٥.

ونافسوا العرب في المنظم والمنثور، وأغنوا الثقافة، ونقلوا إلى الإدارة والسياسة بعض النظم الجديدة.

٤,٣. الزواج والمصاهرة:

تداخلت العلاقات بين الفرس والعباسيين إلى درجة المصاهرة والزواج، مما يؤكد قوة العلاقة ومتانتها بين الفرس والعباسيين، وكان الزواج والتسري الرضاعة والرعاية من الروابط التي زادت من الثقة بالفرس وتغلغلهم في الدولة العباسية والتأثير عليها وعلى قراراتها، ومن ذلك:

أ. رضاعة ابنة السفاح ريطة من زوجة خالد بن برمك[١]، ورضاعة هارون الرشيد من زوجة يحيى بن خالد البرمكي، كما رضع الفضل بن يحيى من أمهارون، وكان هارون ينادي أبا الفضل بـ(أبي) تقديرًا واحترامًا، وكان هذا أحد أسباب تغلغل الفرس وتوليهم السلطة؛ لأنه لما تولى هارون الرشيد الخلافة، فوض يحيى بن خالد تدبير أمور دولة العباسيين، يقول المسعودي[٢]: (ولما أفْضَتِ الخلافة إلى الرشيد دعا يحيى بن خالد، فقال له: يا أبت، أنت أجلستني في هذا المجلس ببركتك ويُمنك وحسن تدبيرك، وقد قلدتك الأمر، ودفَعَ خاتمه إليه). وهذا النص صريح في سيطرت مسلمي الفرس على مقاليد الحكم والسياسية، وأن هارون الرشيد قد سلب نفسه وجردها من كافة صلاحيات الخليفة، ويأتي ذلك بعد توثيق العلاقة بينهما بقرابة الرضاعة، حتى أضحوا كأسرة واحدة.

ب. معاشرة أولاد الخليفة لأولاد الفرس، والتربية مع بعض في قصور الخلافة، يشير الجهيشاري[٣]، إلى أن ابنة السفاح وابنة خالد بن

---

(١) الجهيشاري، ١٩٣٨، ص٨٩.

(٢) المسعودي ، ١٤٠٩ هـ، مج ٣، ص ٣٣٧.

(٣) يشير الجهيشاري ،١٩٣٨، ص ٨٩.

برمك نامتا على فراش واحد، فيقول: (قال أبو العباس يومًا لخالد بن برمك: لم ترض يا ابن برمك حتى استعبدتني فوجم من ذلك، وقال: أنا عبد أمير المؤمنين، فقال له: كانت ريطة وأم يحيى في فراش واحد فتكشفتا، فرددت عليهما اللحاف، فقبل يده وشكر له، ولم يزل على منزلته عنده إلى أن توفي أبو العباس).

ج. الجواري والإماء: فنظرًا لكثرة الجواري الفارسيات في القصر العباسي وسائر مفاصل الدولة، حصل الزواج والتسري بهن من قبل الخلفاء والولاة العرب، بل وصل الأمر إلى أن أغلب الخلفاء كانوا من أمهات فارسيات، يقول الجاحظ [(١)]: (وليس من خلفاء بني العباس من أبناء الحرائر إلا ثلاثة: السفاح، والمنصور، والأمين، والباقون كلهم أبناء الجواري، وقد علقت الجواري؛ لأنهن يجمعن عز العرب، ودهاء العجم). فالمأمون تربى تربية فارسية فأمه فارسية اسمها مراجل وكانت من أسرة عريقة، وفي هذا حجة لمن يرى أن في تلقيح الجناس تحسينًا للنوع البشري؛ لما في شخصية المأمون من النجابة والذكاء والفطنة والشجاعة والنخوة[(٢)].

د. اتسم الزواج في قصور الخلفاء بالأبهة وسعة الولائم وعظم الأعطيات، ومن ذلك ما ورد في زواج الرشيد من زبيدة، حيث بذل أبوه المهدي من التوسع ما لم يسمع به من قبل ولا بعد، يقول المسعودي[(٣)]: (أقام وليمة لم يسبقه إليها أحد في الإسلام، ووهبت الناس في هذا اليوم أواني الذهب مملوءة بالفضة، وأواني الفضة مملوءة بالذهب، وزينت

(١) الجاحظ ، ١٤٢٣ هـ، ص ٣٣٥.

(٢) إبراهيم، ١٩٧٥، ص ٥٢.

(٣)المسعودي ،١٩٨٣، ص ٣١٣.

بكثير من الحلي والجواهر). وبالغ المأمون في الصرف على زواجه من بوران بنت الحسن بنت الحسن بن سهل الفارسي، وهذا الترف والتوسع يرجعه البعض إلى التأثيرات الفارسية.

قلت: ولا شك أن هناك فساد مالي على هرم الخلافة؛ فهذه الأموال التي تجمع من أرجاء الأرض يتصرف بها الخلفاء كما يريدون من غير حسيب ولا رقيب، وإلا فمن أين لهم هذه الأموال العظيمة؟

٥,٣. التجارة والعمالة:

مثلت التجارة واحدة من الوسائل التي تغلغل من خلالها الفكر الفارسي، سواء على المستوى الثقافي أو السياسي أو الاجتماعي والاقتصادي، فقد كان التجار من الفرس يدخلون أسواق العراق وغيرها من بلاد الإسلام بحرية كبيرة، وزادت الحرية في عهد العباسيين للعلاقة التي بينهم والتي أفضت إلى الحكم، ومن خلال التجارة نقلت بعض الثقافات، وقد كانت الأسواق تعج بالتجار الذي يفكرون في الربح وحسب، وكانت محاولات الكسب تتنوع طرقها، وكانت جماعات التجار وإن كثرت لديهم الأموال بسبب ما يجنونه من أرباح تشكل طبقة من أدنى طبقات المجتمع العراقي خُلقًا خاصة تجار التجزئة؛ وذلك لتعاهدهم الغش والخديعة والحلف بالأيمان الكاذبة على أثمان البضائع [(١)].

وكانت التجارة تُستنقص في بعض الأحيان من قبل المجتمع؛ لما ذكر من العادات السيئة، ولذا كان كبار رجال الدولة يأنفون عنها، ويذكر أن يحيى بن خالد البرمكي عزم على الاشتغال بالتجارة، فنصحه أحد التجار

(١) أحلام، يوسف. ٢٠١٨، ص ١١٥.

قائلاً: أنت شريف وابن شريف وليست التجارة من شأنك[١]. وفي ذلك دليل أيضًا على أن الطبقة الفارسية قد اندمجت في المجتمع الإسلامي وتأثرت بالعادات العربية، فالشرف الذي اكتسبه ابن برمك كان في الوزارة، والاعتزاز بالشرف من أسمى عادات العرب. وكان للتجار دور على المستوى السياسي من خلال نقل الأخبار والرسائل، أو تقديم الدعم في الحروب والمعارك.

٤. أشكال تقاليد الدولة العباسية والدولة الفارسية (الساسانية):

٤,١. أخلاق الملوك:

الحديث عن أخلاق الملوك والسلاطين من الموضوعات التي حظيت باهتمام الكتّاب والساسة ورجال القيادة والإدارة، وقد كان للإسلام حظ وافر من الحديث عنها، فقد دعا إلى أبرز وأشمل تلك الأخلاق النبيلة التي لا يمكن لحكم رشيد أن يحكم بدونها، والأخلاق والقيم من منظور الإسلام يصعب حصرها في هذا البحث المتواضع، ولكن سنكتفي بالإشارة إلى أهمها باختصار، ومن ذلك ما يأتي:

أ. **العدل والابتعاد عن الظلم:** دعا الإسلام في مختلف مصادره وأصوله التشريعية إلى العدل ونبذ الظلم. يقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ (النساء، ٥٨)، ويقول النبي ﷺ: «سبعة يظلهم الله في ظله، يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل... الحديث»[٢]. والعدل كلمة شاملة لكل مناحي الشريعة ومجالاتها، ولا

(١)الجهشياري، ١٩٣٨، ص ١٨٦.

(٢)البخاري، ١٩٨٧، مج ١، ص ٢٣٤.

سيما مهمة الإمام والخليفة والملك، إذ هو المسؤول أمام الشرع في تطبيق العدالة بين الرعية، وأرجعها أبو حامد الغزالي [1] إلى عشرة أصول: أن يعرف قدر الولاية ويعلم خطرها، وأن يشتاق أبدًا إلى رؤية العلماء ويحرص على استماع نصحهم، وأن يحذر من علماء السوء، وأن لا يقنع برفع يده عن الظلم لكن يهذّب غلم انه وأصحابه وعماله ونوا به فلا يرضى لهم بالظلم، وأن لا يكون الوالي متكبرًا فمن التكبر يحدث عليه السخط الداعية إلى الانتقام، والغضب غول العقل وعدوه وآفته، وأن يعلم أن ما لا يرضا هل نفسه لو كان أحد الرعية لا يرضى به لأحد من المسلمين، وأن لا يحتقر انتظار أرباب الحوائج ووقوفهم ببابه ويحذر من هذا الخطر، وأنه متى أمكنه أن يعمل الأمور بالرفق واللطف فلا يعملها بالشدة والعنف، وأن يجتهد أن يرضى عنه رعيته بموافقة الشرع، وأن لا يطل برضا أحد من الناس بمخالفة الشرع.

ب. **أن يكون رحيمًا رؤوفًا**: فالإمام الرحيم القريب من الرعية هو الذي يستأنس الناس به ويعرضون عليه حوائجهم، أما الجبار الفظ الغليظ فالناس تنفر منه، قال تعالى مخاطبًا نبيه: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ (آل عمران، ١٥٩)، وقد دعا النبي ﷺ للوالي الرحيم الشفيق بأمته ودعا على الفظ الغليظ فقال ﷺ: (اللهم، من ولي من أمر أمتي شيئًا فشق عليهم فاشقق عليه، ومن ولي من أمر أمتي شيئًا فرفقهم، فارفقبه) [2].

---

(١) أبو حامد الغزالي، ١٩٨٨، ص ١٤- ٢٨.

(٢)القشيري، ١٣٣٤ هـ، مج ٦، ص ٧.

ج. **التقوى والخوف من الله**: وقد كان هذا شأن القدوة المهداة محمد ﷺ امتثالاً لأوامر الله تعالى في غير ما موضوع من كتابه العزيز، يقول سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾ (الأحزاب، ١)، فإذا كانت الوصايا والأوامر الإلهية لمحمد الرسول الأمين، فحري بغيره أن توجه له النصيحة بتقوى الله، وخاصة أولي الأمر؛ لأنهم قد تأخذهم العزة بالنفس والاغترار إلى تناسي حق الله تعالى، ولا شك أن الإمام الأتقى والخائف من مولاه يحبه الرعية وأدعى إلى أن يطاع فلا يعصى.

د. **الأمانة والورع**: فالناس يأتمنونه على الدين والأموال والأعراض، فلا يقصر في ذلك، ولا يهمل هذه الأمانات، كما أنه لا يطيل يده في أموال الأمة (المال العام)، فليس له الحق المطلق في التصرف به كيف يشاء دون حسيب أو رقيب، بل يتصرف فيه في الصالح العام وفقًا للأطر المشروعة، وفي القرآن الكريم عن يوسف -عليه السلام-: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ (يوسف، ٥٥)، وقد أحسن الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه في تلخيص هذا الحق في كلمات أصاب في هن، فقال: (حق على الإمام أن يحكم بما أنزل الله، وأن يؤدي الأمانة، فإذا فعل ذلك كان حقًا على المسلمين أن يسمعوا ويطيعوا ويجيبوا إذا دعوا)[١].

ه. **الصدق مع الرعية**: فلا يكذب عليهم، ويصدق معهم في الخير والشر، والرخاء والشدة، بعيدًا عن الخداع والتدليس والتضليل، فالكذب ليس من أخلاق المؤمنين، فإذا كان الإمام والقائم بأمر الأمة كاذبًا فقد باء بعقوبة أليمة يوم القيامة؛ لأنهم في موضع لا يحتاج فيها إلى الكذب والكذب محرم مطلقًا، فتزاد بذلك عقوبته، وفي الحديث

---

(١)ابن أبي شيبة، ١٤٠٩ هـ، مج ٦، ص ٤١٨.

الشريف: (ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولهم عذاب أليم: إمام كذاب، وعائل مستكبر، والشيخ الزاني)[1].

و. **تحمل المسؤولية**: وهي صفة نبيلة وخلق عظيم، فولي الأمر هو المسؤول عن راحة رعيته وغذائهم ودوائهم وملابسهم وكل ما يحتاجونه، وهو المسؤول عن حماية الأمة وثغورها وأراضيها، وتزداد المسؤولية في كل عصر كلما زاد اتساع الأمة وزاد الأعداء لها كيدًا، يقول النبي ﷺ: (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته الإمام راع ومسؤول عن رعيته)[2]، والمسؤولية تعني القيام بأمر الأمة على أحسن وجه، مع الإدراك أنه محمّل بهذه الأمانة، ومنها الحمية والغيرة على محارم الدين وأموالهم وأعراضهم والدفاع عنها.

ز. **الشجاعة**: وهي من الأخلاق التي لابد منها لتولي منصب الإمام، وهي من أجل أخلاق الملوك والخلفاء والقادة، وهذا ما أشارت ابنة شعيب -عليه السلام- وصدقها الله حين قالت: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ (القصص، ٢٦)، والأمة بحاجة إلى القائد القوي، الذي يصد عنها بطش الظالمين والمتجبرين والطغاة، ويرد عنها عدوان المعتدين من الكفرة والمجرمين، وبقوة السلطان مع تقواه وعدله وأمانته وصدقه يتحقق الأمن والاستقرار والرخاء.

ح. **ألا ينفرد برأيه (الشورى)**: فمهما بلغ الإنسان من العلم والخبرة فهو ضعيف معرض للخطأ والنسيان والزلل، وبإخوانه يكمل ما نقص أو زل فيه، ولذا كانت الشورى من أهم صفات وأخلاق الملوك، يقول أبو

---

(١)أبو يعلى، ١٩٨٨، مج ٥، ص ٤٤٢.

(٢) البخاري،١٩٨٧، مج ١، ص ٣٠٤.

حامد الغزالي[1]: (ومن انفرد برأيه ولمن غير شك)، ألا ترى أن النبي ﷺ مع جلالة قدره وعظم درجته وفصاحته أمره الله تعالى بالمشاورة لأصحابه العقلاء العلماء فقال-عز من قائل-: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ (آل عمران، ١٥٩)، وأخبر في موضع آخر عن موسى-عليه السلام-: ﴿وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي (٢٩) هَارُونَ أَخِي (٣٠) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (٣١) وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾ (طه، ٢٩: ٣٢)، وإذا لم يستغن الأنبياء والرسل - عليهم الصلاة والسلام - عن الوزراء واحتاجوا إليه مكان غيرهم من الناس أحوج.

ط. **ألا يحتجب عنهم:** لأن الإمامة العظمى إنما جاءت لخدمة الرعية فكيف يحتجب عنهم؟ ولذا جاء في الحديث عن النبي ﷺ قوله: (من ولي من أمر الناس شيئًا فاحتجب عن أولي الضعفة والحاجة احتجب الله عنه يوم القيامة) [2].

تلك هي أهم الصفات والأخلاق التي لابد أن يتحلى بها من تصدر لزمام الأمر ومنصب الخلافة أو الملك والرئاسة، فبها تسعد المجتمعات، وتأمن على دينها وأموالها وأعراضها، ومتى ما تخلى الملوك عن تلك الأخلاق ظهر من الفساد والبلايا بقدر ما تخلوا عنه منها. وما ذكرناه من الأخلاق ليس على سبيل الحصر، فهنالك صفات الشهامة والكرم والفراسة والنبل واليقظة والنباهة وغيرها من صفات سائر المؤمنين، ولا نعني بذلك أن يكونوا معصومين، فهذا مستحيل؛ فالعصمة هي لمن منحها الله لهم، وإنما المقصود تحقيق أعلى قدر من الصفات والأخلاق النبيلة لمن تصدر لأمر الأمة والرعية.

(١) أبو حامد الغزالي ، ١٩٨٨، ص ٨٣.

(٢) أحمد، مج ٣٦، ٢٠٠١، ص ٣٩٤.

٢,٤. الآداب السلطانية:

لكل أمة وحضارة آدابها، كما أنهم قد يشتركون في بعض الآداب والبروتوكولات، وقد كان للعرب عاداتهم وتقاليدهم، فلما ملكوا وساسوا الأمم والشعوب ظهرت آداب استقوها من ملوك العجم، يقول الجاحظ[١]: (وعنهم - أي العجم - أخذنا قوانين الملك والمملكة، وترتيب الخاصة والعامة، وسياسة الرعية، وإلزام كل طبقة حظها، والاقتصار على جديلتها، كان أردشيرين بابك أول من رتب الندماء، وأخذ بزمام سياستهم، فجعلهم ثلاث طبقات).

وكان لترجمة كتب الأمم الأعجمية أثرها على بلاط الخلافة الأموية والعباسية، إلا أن الدولة العباسية هي الأكثر تأثرًا بالآداب السلطانية الفارسية واليونانية والهندية وغيرها، ولما كانت العلاقة بين العباسيين ومسلمي الفرس وثيقة كانت الآداب السلطانية الفارسية (الساسانية) الأكثر وجودًا، والأوفر حظًا في أروقة قصور الدولة العباسية.

ومن تلك الآداب السلطانية الفارسية التي تغلغلت في الحكم العباسي ما يأتي:

أ. الآداب السلطانية في الدخول والخروج على الملوك[٢]:

- هنالك فرق بين دخول الأشراف والطبقة العالية على الملوك ودخول الطبقة الوسطى كما أشار الجاحظ، فإن كان الداخل من الطبقة الأولى فمن حق الملك أن يقف منه بالموضع الذي لا ينأى عنه، ولا يقرب منه، وأن يسلم عليه قائمًا، فإن استدناه، قرب منه، فإن أومأ

(١)الجاحظ، ١٩١٤، ص ٢١.

(٢)الجاحظ، ١٩١٤، ص ٦: ٨.

إليه بالقعود، قعد، فإن كلمه أجابه بانخفاض صوتٍ، وقلة حركة، وإن سكت، نهض من ساعته. وإن كان الداخل من الطبقة الوسطى، فمن حق الملك، إذا رآه، أن يقف، فإن استدناه، دنا خطى ثلاثاً أو نحوها، ثم يقف، فإن استدناه، دنا نحوًا من دنوه الأول، ولا ينظر إلى تعب الملك في إشارة أو تحريك جارحة؛ فإن ذلك، وإن كان فيه على الملك معاناة، فهو من حقه وتعظيمه.

- وأما كيفية الدخول عليه فإن كان من الباب الذي يقابل وجهه ويحاذيه وكان له طريق عن يمينه أو شماله عدل نحو الطريق الذي لا يقابله فيه بوجهه، ثم انحرف نحو مجلس الملك، فسلم قائمًا ملاحظًا للملك. فإن سكت عنه، انصرف راجعًا من غير سلام، وإن أذن له جلس، فإن كلمه أو أذن له تكلم، وإن قاطعه قام فرجع القهقرى، فإن أمكنه أن يستتر عن وجهه بجدارٍ أو مسلكٍ لا يحاذيه إذا ولى، مشى كيف شاء.

- ومن الآداب السلطانية أن إذا دخل على الملك ملك أومن يساويه في العز والسلطان قام من مكانه فيخطو إليه خطىً ويعانقه، ويأخذ بيده فيقعده في مجلسه، ويجلس دونه؛ لأن هذه حال يحتاج الملك إلى مثلها، من الداخل عليه، إذا زاره، وإذا أراد الانصراف قام معه إذا قام، ويدعو بدابته ليركب حيث يراه، ويشيعه ماشيًا قبل ركوبه، وخطى خطوات يسيرةً، ويأمر حشمه بالسعي بين يديه.

ب. الآداب السلطانية في الطعام والأكل مع الملوك[١]:

- ألا ينبسط بين يدي الملك في مطعمه؛ فإن ذلك يدل على شرهه، وسوء أدب، وقلة تمييز، وجرأةً على الملك ببسط اليد ومدها، وكثرة

(١)الجاحظ، ١٩١٤، ص ٩: ١٦.

الحركة، وكانت ملوك فارس، إذا رأت أحدًا في هذه الحال من شره المطعم والنهم، أخرجوه من طبقة الهزل، ومن باب التعظيم إلى باب الاحتقار والتصغير. وهكذا كان الخلفاء العباسيون يفعلون، فقد حصل لأحدهم مع المنصور حين أمره بالجلوس للطعام فقال: قد تغديت، فكان هذا سببًا لدفعه بعد ذلك من قبل الربيع، ولما شكوا إلى المنصور ما فعله مع الرجل قال: ليس عنده لمن أكل مع أمير المؤمنين إلا سد خلة الجوع. ومثل هذ الا يقومه القول دون الفعل، ولا يعتبر كثرة الأكل مع الملوك فضيلة؛ إذ إن أهل الأدب والمروءة حظهم من مائدة الملك المرتبة التي وصلوا إليها والأنس الذي خصهم به.

- ألا يرفع أحد طرفه إلى الملك، إذا أكل، ولا يحرك يده معه في صحفة، وأنت وضع بين يديك لرجلٍ صحفة، فيها كالذي بين يدي الملك من طعام، ولا يخص الملك نفسه بطعام دون أصحابه؛ لأنفي ذلك ضعةً على الملك، ودليلاً على الاستئثار.

- ألا يغسل أحد بحضرته يديه من خاصته وبطانته، إلا أن يكون معه من يساويه في الجاه، والعز، والبيت والولادة.

- أن إذا رفع الملك يديه عن الطعام، أنينه ضعن مائدته كل من الحاف بها، حتى يواروا عنه بجدارٍ أو حائلٍ غيره.

- أن يكون منديل غمر ه كمنديل وجهه، في النقاء والبياض، وألا يعاد إليه إلا أن يغسل أو يجدد.

- ألا يحدث على طعام الملك بحديث جدٍ ولا هزل. وإنا بتدأ بحديثٍ فليس من حقه أني عارض بمثله، وليس فيه أكثر منا لا ستماع لحديثه، والأبصار خاشعة، ولذلك كانت ملوك آلساسان إذا قدمت موائدهم،

زمزموا عليها، فلم ينطق ناطق بحرفٍ حتى ترفع، فإنا ضطروا إلى كلام، كان مكانه إشارة وإيماء يدل على الغرض الذي أرادوا، والمعنى الذي قصدوا.

ج. الآداب السلطانية في المجالسة والمنادمة:

- من الآداب السلطانية ألا يطيل أحد القعود عند الملك؛ فإن أخطأ مخطئ في ذلك، كان ممن يحتاج إلى أدبٍ، وكان الذي وصله بالملك ظالماً له ولنفسه[1].

- جرت عادة ملوك فارس إلى تقسيم الناس إلى طبقات، وكذا الخلفاء العباسيين فجعلوا لأنفسهم ندماء من العلماء والأدباء والعسكريين والمغنيين وأصحاب الفكاهة والضحك؛ لأن الملك يحتاج إلى الوضيع للهوه، كما يحتاج إلى الشجاع لبأسه، ويحتاج إلى المضحك لحكايته، كما يحتاج إلى الناسك لعظته، ويحتاج إلى أهل الهزل، كما يحتاج إلى أهل الجدو العقل، ويحتاج إلى الزامر المطرب، كما يحتاج إلى العالم المتقن[2].

- ألا يكلمه أحد من الندماء والزوار مبتدئاً ولا سائلاً لحاجة، حتى يكون هو المبتدئ بذلك، فإن جهل أحد ذلك علمه الموكل ما يجب عليه، فإن عاد فعلى الموكل بأمر الدار أن يحسن أدبه، وألا يأذن له في الدخول، حتى يبتدئ الملك ذكره[3].

- من الآداب السلطانية أن الملك إذا هم بالحركة للقيام، أن تسبقه بطانته وخاصته بذلك، فإن أومأ إليه مأن لا يبرحوا، لا يقعد واحد منهم،

(١) الجاحظ، ١٩١٤، ص ٨.

(٢) الجاحظ، ١٩١٤، ص ١٩.

(٣) الجاحظ، ١٩١٤، ص ٤٧.

حتى يتوارى عن أعينهم، فإذا قعد، كانوا على حالهم تلك، فإن نظرا ليهم ليقعدوا لم

- يقعدوا جملةً بل تقعد الطبقة الأولى أولاً ثم الطبقة الثانية ثم الطبقة الثالثة[١].

- من الآداب السلطانية ألا يدنوا من الملك أحد، صغرأ وكبر حتى يمس ثوبه ثوبه إلا وهو معروف الأبوين، في مركب حسيب، غير خامل الذكر ولا مجهول[٢].

- إذا قرب الملك إنسانًا أو أنس به حتى يهازله ويضاحكه، ثم دخل عليه بعد، أن يدخل دخول من لم يجري بينهما أنس قط، وأن يظهر من الإجلال له و التعظيم أكثر مما كان عليه في المرة السابقة[٣].

- من الآداب التي شرعها المنصور وأصبحت بروتكولاً في الدولة العباسية فرس النّوبة، وهو فرسٌ كان يُربط قربَ قصر الخليفة في العصر العباسي؛ ليركبه حين يريد الركوب، ولم يكن الملوك قبله يعرف ونذلك[٤].

د. الآداب السلطانية في الملابس والأواني:

- من الآداب السلطانية ألا يشارك الملك أو الخليفة بطانته وندماءه في الطيبِ والبخور والمجمرِ؛ لأن هذا وما أشبهه يرتفع الملك فيه عن مساواة عامة الناس، وعلى بطانة الملك وقرابته أن لا يمسوا طيبًا إذا تطيب؛ لتفرد الملك بذلك دونهم، فكلما أمكن الملك أن ينفرد به دون

(١)الجاحظ، ١٩١٤، ص ٥٠.

(٢) الجاحظ، ١٩١٤، ص ٥٠.

(٣) الجاحظ، ١٩١٤، ص ٥٩.

(٤)ابن الطقطقي، ١٩٩٧، ص ١٥٦.

خاصته وعامته فمن آدابه ألا يشارك أحدًا فيه. وقد حكي هذا البروتوكول عن أنوشروان ومعاوية بن أبي سفيان، وهارون الرشيد[١].

- من الآداب السلطانية لبس القلنسوة، حيث أمر الخليفة المنصور أن تلبس القلنسوة الفارسية، وأصبحت من بروتوكولات الخلفاء العباسيين، يقول عزام [٢]: (ساس الفرس الدولة على قواعد الساسانيين وقلد الخلفاء وغيرهم الفرس في ملابسهم ومساكنهم وطعامهم وشرابهم، أمر الخليفة المنصور أن تلبس القلنسوة الفارسية، واتخذ هو ومن بعده الحلل المذهبة على الأساليب الفارسية، وقد أبقى الزمن من نفوذ الخليفة المتوكل ما يظهر هذا الخليفة في زي فارسي كامل، ومن الكلمات الجامعة في هذا ما قاله المتوكل حين أراد إصلاح السنة المالية ورد النيروز إلى مكانه من العام فأحضر الموبذ ليستعين به، قال الخليفة: قد كثر الخوض في ذلك ولست أتعدى رسوم الفرس).

- كان ملوك الفرس يقدمون الهدايا في أعيادهم، فيهدون الثياب والرماح والسيوف والخيول، وكانت هذه من الآداب التي تتكرر في الأعياد كعيد المهرجان وعيد النيروز وغيرهما، وكانوا يلبسون ملابس خاصة في هذا المناسبات، ولم تنتقل هذا العادة إلى قصر الخلافة إلا في العصر العباسي، قال الجاحظ [٣]: (ولا نعلم أن أحدًا بعدهما قتفى آثارهم إلا عبد الله بن طاهر، فإني سمعت من محمد بن الحسن بن مصعب يذكر أنه كان يفع لذلك في النيروز والمهرجان، حتى لا يترك في خزائنه ثوباً واحداً إلا كساه، وهذا من أحسن ما حكي لنا من فضائله).

(١) الجاحظ، ١٩٩٧، ص ٤٤.

(٢)عزام،٢٠٢١، ص ٥٣-٥٤.

(٣) قال الجاحظ ،١٩٩٧، ص ١٥٠.

الخاتمة

بعد الحديث عن التأثيرات الفارسية (الساسانية) في الفكر السياسي الإسلامي في العصر العباسي نصل إلى ذكر أهم النتائج والتوصيات:

أولاً: أهم النتائج:

١. أن عملية الترجمة قد مرت بمراحل عديدة، إلا أن ترجمة الكتب الأعجمية ظهرت في العصر الأموي حيث تُرجمت كتب الطب والفلك والكيمياء، ثم توسعت في العصر العباسي فشملت كافة الفنون والعلوم.

٢. أن العلاقة بين الدولة العباسية ومسلمي الفرس وخرسان كان لها أثرها في سقوط الدولة الأموية، وأدى ذلك التعاون إلى مشاركة الفرس في أروقة الحكم والإدارة، وكان لتلك العلاقة تأثيرها في تغلغل الفكر الفارسي ونقل ثقافته إلى الحضارة الإسلامية.

٣. أن التأثر بالحضارة الفارسية وآدابها كان في العصر العباسي الأول، فالبداية كانت في عهد السفاح ثم المنصور وزادت في عهد الرشيد، وبلغت ذروتها في عهد المأمون إلا أنها انحصرت وانكمشت في العصور المتأخرة من العصر العباسي؛ نتيجة لخبرة الأمة في فنون السياسة، ولوجود عنصر منافس للفرس تمثل في الأتراك.

٤. أن كتب التراث السياسي الفارسي الذي نقلت بواسطة كبار العلماء والمتخصصين كابن المقفع وأبي سهل الفارسي والبلاذري وغيرهم قد أدت دورها في التأثير على الحكم وظهرت بعض نظم الحكم والإدارة الساسانية كنظام الوزارة الذي يعد من أبرز أعمدة الحكم لرجال الدولة العباسية.

٥. أن الوسائل التي ساعدت في تغلغل القيم الفارسية السياسية في الفكر السياسي الإسلامي للدولة العباسية كانت تتمثل في الخطابة

وفنونها، والمراسلات والرسائل، وعلوم الأدب واللغة، وكذا الزواج والمصاهرة والتجارة والعمال المتنقلين بين الشعوب، فضلاً عن المشاركة الحية في الحكم كالوزارة والكتابة والحجابة وغيرها.

٦. أن الأخلاق الإسلامية التي دعا إليها القرآن الكريم والسنة النبوية جليلة القدر وعظيمة الشأن؛ لضبط سلوك الحاكم وولاة الأمر، وهي دين لا ينبغي التفريط فيها، فقيمة العدل والرحمة والتقوى والصدق والشجاعة وتحمل المسؤولية وغيرها قيم لا تسقيم الحضارة إلا بها.

٧. أن الآداب السلطانية وبروتوكولات الملك والرئاسة بدأت في العصر الأموي؛ إذ كانت العرب قبل ذلك تعتمد على البساطة، فالرسول الكريم والخلفاء الراشدون كانوا يحكمون من المسجد وبيوتهم الخاصة، ولما توسعت الدولة في العهد الأموي بدأت تظهر نظم جديدة إلى قصور الحكم، وجاء العصر العباسي فأدخلت الكثير من الآداب والبروتوكولات من الحضارات الأعجمية، وكان للحضارة الساسانية النصيب الأوفر.

ثانيًا: التوصيات:

١. توصي الباحثة طلاب الدراسات العليا والباحثين إلى بذل مزيد من البحوث والدراسات حول التاريخ الإسلامي وعلاقته بغيره من الحضارات وجوانب التأثيرات الفكرية بمختلف أشكالها وأنواعها؛ لتكون في متناول القارئين وطلاب العلم.

٢. توصي الباحثة الجامعات ودور النشر إلى تقديم مزيد من التحفيز والتشجيع للطلاب والباحثين لدراسة مثل هذه الأبحاث التي تخدم أمتنا العظيمة، وتعرف الأجيال والأبناء بتاريخهم المجيد.

المراجع والمصادر

أولا المصادر:

١. القرآن الكريم.

٢. ابن أبي أصيبعة، أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس (د.ت): عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق: د. نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت.

٣. ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد العبسي (١٤٠٩): الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ط١.

٤. ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (١٩٩٢): المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت.

٥. ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا (١٩٩٧): الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، تحقيق: عبد القادر محمد مايو، دار القلم العربي، بيروت، ط١.

٦. ابن النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق الوراق (١٩٩٧): الفهرست، تحقيق: إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت- لبنان، ط٢.

٧. ابن النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق الوراق (د.ت): الفهرست، تحقيق: رضا تجدد، طهران، د.ن.

٨. ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد الشيباني (٢٠٠١): المسند، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعادل مرشد وآخرين، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط١.

٩. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد (١٩٩٨): ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط٢.

١٠. ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم (١٩٩٤): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، ط١.

١١. أبو حامد الغزالي، محمد بن محمد (١٩٨٨): التبر المسبوك في نصيحة الملوك، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١.

١٢. أبو داود، أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي (د.ت): سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.

١٣. أبو يعلى، أحمد بن علي بن المثُنى التميمي (١٩٨٨): مسند أبي يعلى، تحقيق: إرشاد الحق الأثري، دار القبلة، جدة، ط١.

١٤. البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (١٩٨٧): الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة – بيروت، ط٣.

١٥. بروكلمان، كارل (١٩٦٨): تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة: نبيه فارس وزميله، دار العلم للملايين، بيروت، ط٥.

١٦. البلخي، محمد بن أحمد بن يوسف الخوارزمي (د.ت): مفاتيح العلوم، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، ط٢.

١٧. الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى (١٩٧٥): سنن الترمذي، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم

عطوة عوض، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط٢.

١٨. الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني:

- (١٤٢٣): البيان والتبيين، دار ومكتبة الهلال، بيروت.

- (١٩١٤): التاج في أخلاق الملوك، تحقيق: أحمد زكي باشا، المطبعة الأميرية، القاهرة، ط١.

- (١٩٩٢): المحاسن والأضداد، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط١.

- (١٩٩٦): الحيوان، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، لبنان- بيروت.

١٩. الجهشياري، أبو عبد الله محمد بن عبدوس (١٩٣٨): كتاب الوزراء، حققه ووضع فهارسه: إبراهيم الأنباري وآخران، مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده، ط١.

٢٠. الخطيب، بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي (٢٠٠٢): تاريخ بغداد، تحقيق: د. بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١.

٢١. الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم (١٤٠٤هـ): الملل والنحل، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت.

٢٢. الطبري، محمد بن جرير بن يزيد (١٤٠٧هـ): تاريخ الأمم والملوك، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١.

٢٣. القشيري، مسلم بن الحجاج أبو الحسن النيسابوري (١٣٣٤): المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الجيل، بيروت، الطبعة مصورة من الطبعة التركية المطبوعة في إستانبول.

٢٤. القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف (٢٠٠٥): إخبار العلماء بأخبار الحكماء، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط ١.

٢٥. المروذي، آدم بن أبى إياس بن محمد بن شعيب الخراساني (١٩٩٥): نزهة الأمم في العجائب والحكم، تحقيق: د. محمّد زينهم محمّد عزب، مكتبة مدبولي، ط ١.

٢٦. المسعودي، أبو الحسن على بن الحسين بن على:

- (د.ت): التنبيه والإشراف، تصحيح: عبد الله إسماعيل الصاوي، دار الصاوي، القاهرة.

- (١٩٨٣): مروج الذهب ومعادن الجوهر، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت ط ٥.

ثانيا - المراجع :

١- إبراهيم، كاظم عبد علي (١٩٧٥): النوروز مظهر من مظاهر التواصل بين العرب والفرس، رسالة ماجستير، معهد الآداب الشرقية، الجامعة اليسوعية، إشراف: د. أسعد علي ود. فكتور الكك.

٢- أحلام يوسف (٢٠١٨): الحياة الاجتماعية في الدولة العباسية بالعراق، ١٣٢-٤٤٧هـ/ ٧٤٩-١٠٥٥م، رسالة دكتوراه في التاريخ العام، جامعة ٨ ماي ١٩٤٥ قالمة، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية.

٣- حسن، حسن إبراهيم (١٩٦٤): تاريخ الإسلام السياسي والديني والاجتماعي والثقافي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط٧.

٤- الخطاط، محمد طاهر بن عبد القادر الكردي المكي (٢٠٠٠):

التاريخ القوي مملكة وبيت الله الكريم، طبع على نفقه معالي د. عبد الملك بن دهيش، يطلب من مكتبة النهضة الحديثة بمكة المكرمة، ودار خضر للطباعة بيروت، ط١.

٥- دلال عباس (د.ت): تأثير الأدب الفارسي في اللغة العربية وآدابها، د. ط.

٦- الصَّلاَّبي، عَلي محمد محمد(٢٠٠٨): الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ط٢.

٧- عزام، عبد الوهاب (٢٠٢١): الصلات بين العرب والفرس وآدابهما في الجاهلية والإسلام، وكالة الصحافة العربية، د. ط.

٨- عكاشة، ثروت (١٩٩٢): مقدمة على كتاب المعارف لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط ٢.

٩- العمرو، علي عبد الرحمن (١٩٧٩): أثر الفرس السياسي في العصر العباسي الأول، مطابع الدجوي، القاهرة، ط ١.

١٠-عيسى، عبد الخالق (د.ت): الاتصال الثقافي وحوار الحضارات في العصر العباسي، د. ط.

١١-قبايلي، د. حميد (د.ت): البنية الفكرية للأدب العباسي، أدب قديم، د. ط.

١٢-كريستنسن، آرثر (١٩٩٨): إيران في عهد الساسانيين، ترجمة: يحيى الخشاب، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة.

١٣-مجموعة من المؤلفين (٢٠١٨): سؤال الأخلاق في الحضارة العربية الإسلامية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط. د.

١٤- محمدي، محمد (١٩٦٤): الترجمة والنقل عن الفارسية في القرون الإسلامية الأولى) كتب التاج والآيين)،بيروت، الجامعة اللبنانية، ط.د.

١٥-مفتي، سحر (١٤٢٤هـ): أثر الوقف في الحياة العلمية بالمدينة، مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، د. ط.

١٦- الندوي، صاحب عالم الأعظمي (٢٠١٨): دور العلماء والمؤرخين في نقل النظريات السياسية الساسانية إلى الهند في عصر سلطنة دهلي، كتاب (فتاوى جهانداري) نموذجًا، Online Publication Date: 15 Nov، د. ط.

١٧-وِل ديورَانت، ويليام جيمس (١٩٨٨): قصة الحضارة، تقديم: د. محيي الدّين صَابر، ترجمة: د. زكي نجيب محمُود وآخرين، دار الجيل، بيروت - لبنان، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، د. ط.

الفصل الثالث

استبداد الأمراء في العصر العباسي

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين ذي الجلال والكمال والإنعام، والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد الأنام، وعلى آله وصحبه الكرام.

أما بعد: لقد بنى الإسلام نظام الحكم السياسي على قواعد عامة وثابتة كالشورى والعدالة والحرية، يقول تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ (الشورى، آية ٣٨)، وقال - جل جلاله - آمرًا نبيه ﷺ: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ (آل عمران، آية ١٥٩)، وهكذا كان القدوة المثلى ممتثلاً لأمر ربه، وعلى هذا الدرب سار الصحابة الكرام، غير أن الأمر لم يدم على ما كان عليه، ففي العصر الأموي انحرف مسار الاختيار، وأصبح الحكم بالتوريث، وسلبت حرية الأمة في اختيار من يسوسها، وبدأ الاستبداد يضرب بأذياله، واستمر الحال دون تغير في العصر العباسي التي كانت الأمة تأمل أن يرد قادة الثورة العباسية المياه إلى مجاريها، غير أن الاستبداد كان هو المنتصر أيضًا في هذه الحقبة من التاريخ.

وفي هذا البحث ستتناول الدراسة قضية استبداد الأمراء في العصر العباسي وما نتج عنه من آثار سيئة على الشعوب، راجيًا من الله أن يوفقني للصواب.

١. تعريف الاستبداد في اللغة والاصطلاح:

١,١. معنى الاستبداد لغة:

الاستبداد اسم لفعل (استَبَدَّ)، ويعني الانفراد بالشيء، يقال: استبد بالأمر إذا انْفَرد به من غير مشارك له فيه[١]، ويأتي بمعنى الاستحواذ على الشيء والتحكم به[٢]، ومنه قول علي رضي الله عنه: (ولكنا نرى أن لنا في هذا الأمر حقًا، فاستبددتم به علينا)[٣]، والاستبداد في اللغة عام يتناول كل أنواع الانفراد والاستحواذ.

٢,١. معنى الاستبداد اصطلاحًا:

يقول الكواكبي [٤]: (تصرف فرد أو جمع في حقوق قوم بالمشيئة وبلا خوف تبعة)، وهذا التعريف يتناول الاستبداد السياسي، أي كل أنواع التعسف والقهر والانفراد بأمور الحكم وشؤون الدولة، سواء المتعلق بالمال أو المتعلق بالقضاء أو المتعلق بالإدارة وسياسية الرعية. ويعرفه إسحاق [٥] بقوله: (تصرف واحد من الجماعة بدمائهم وأموالهم ومذاهبهم بما يوجبه هواه، وما يقضي به رأيه، سواء كان ما يجري مخالفًا لمصلحتهم أو مواقفًا لها).

ولما كان موضوع بحثنا يتعلق بأمراء الدولة العباسية فقد تناول ذلك الاستبداد السياسي، والسياسة تعني الهيمنة على كل مراكز الدولة ونواحيها، فاقتضى ذلك تناول أنواع الاستبداد التي تمارسه الدولة، وقد استُخدِم

---

(١) الفيومي، د.ت، ص٢٥.

(٢) عمر، ٢٠٠٨م، مج١، ص١٦٩.

(٣) الصنعاني،١٤٠٣هـ، مج٥، ص٤٧٣.

(٤) الكواكبي (٢٠٠٩م، ص٢٣.

(٥) إسحاق (١٩٧٥م، ص٥٢.

مصطلح الاستبداد في العصر الحديث على نطاق واسع للدلالة على الاستئثار بالحكم والسلطة المقرون بضعف الشورى أو عدمها، وقد يعبر عنه بالديكتاتورية. وأما في العهد الإسلامي القديم فيعبر عنه بالطغيان والفساد والظلم والجور والتعسف والقسوة، وأي كان الاصطلاح فالانفراد بالحكم والسلطة والرأي استبداد، وهو ينافي مبدأ الشورى، ويناقض مبدأ العدالة، فلا يوجد مستبد عادل، ولا مستبد صاحب شورى.

وأما إذا أخذنا نظرة يسيرة في موقف الإسلام من الاستبداد، فإن الإسلام لا يقبل مثل هذه التصرفات والتعاملات، بل على العكس من ذلك يدعو إلى الشورى ويأمر بها، يقول الله تعالى مخاطبًا نبيه: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ (آل عمران، آية ١٥٩)، ويقول -جل جلاله- واصفًا عباده المؤمنين المتوكلين على ربهم: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ (الشورى، آية ٣٨)، وعلى هذا فالاستبداد ممقوت، والمستبدون طغاة متجبرون، ولا يوجد أحد من الخلفاء الراشدين الأربعة استبد بالأمر، وما ذكر عن علي - رضي عنه - إن صحت الرواية ليس فيه دلالة على أن أبا بكر استبد بأمر الأمة، بل تم اختياره من قبل الصحابة الكرام وبرضاهم.

٢. أنواع الاستبداد وأسبابه في العصر العباسي:

٢,١. أنواع الاستبداد في العصر العباسي:

اشتهر ارتباط الاستبداد بالسياسة والسلطة؛ لأنه أعظم أنواع الاستبداد، وذلك أن مصير الأمم والشعوب مرتبطة بالحكم والسلطة، فإذا صلح الحاكم وكان عادلاً تبعه أقوام ومجتمعات، ولا يعني ذلك قصر الاستبداد بالسياسة دون غيره، بل إن له أنواعًا وأصنافًا، ومن أنواعه في العصر العباسي ما يأتي:

٢,١,١. الاستبداد السياسي:

وهو أشهرها، وأعظمها جرمًا، فلم لا يتم اختيار الحاكم (الخليفة) بإرادة الأمة كما كان عليه الحال إبان العصر الرشيد، عهد الخلفاء الراشدين الأربعة أو الخمسة إن أضفنا لهم الحسن بن علي؟ فقد تحول اختيار الحاكم بعد ذلك إلى أشبه بما كان عليه الحكم الساساني والرومي، حيث توارث بنو أمية الخلافة إلى أن ظهر عهد جديد، ادعى أصحابه أنهم جاؤوا لإصلاح ما أفسده بنو أمية وإرجاع الحق لأهله، فاستولى بنو العباس على الدولة وانتزعوها من بني أمية، غير أن الأمر لم يختلف عما كان عليه سلفهم، فقد ظلوا هم أيضًا يتوارثون الخلافة، ولم يكن للأمة حظ ولا نصيب في اختيار الحاكم بأي وجه من الوجوه، عدا بعض الصور الشكلية التي لا تغير من مفهوم الاستبداد السياسي، وحينما ننتقد الجوانب السلبية في التاريخ الإسلامي لا يعني ذلك إنكار أو تناسي الجوانب المشرقة، كالاهتمام بالتعليم والحفاظ على حرمة الأمة الإسلامية، والجهاد، وما قدموه في نشر العلوم والدعوة إلى الله تعالى، إلا أن ذلك لا يكفر خطيئة الاستبداد السياسي الذي مارسوه على الأمة الإسلامية وحرمانها من اختيار خليفتها وحاكمها.

يقول الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور: (أيها الناس، إنما أنا سلطان الله في أرضه، أسوسكم بتوفيقه وتسديده)[1]، وقد أضفى على تسلطه صبغة مقدسة، فقد استند على نظرية الحق الإلهي في السلطة كما ادعى أسلافه ومن جاء بعده، وهي دعوى لا يؤيدها الواقع، ومتى كان له الحق وليس لأحد من أبناء الأمة الحق في اختياره أو رفضه؟

(١)الطبري، ١٣٨٧هـ، مج٨، ص٨٩.

واستخدمت الأحاديث كثيرة في تكريس الاستبداد والانفراد بالسلطة في وجه أي نصيحة أو نقد أو تصحيح، ومن ذلك حديث (يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي، ولا يستنون بسنتي، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس)، قال: قلت: كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟ قال: (تسمع وتطيع للأمير، وإن ضرب ظهرك، وأخذ مالك، فاسمع وأطع)[1]، وإذا رجعنا إلى عصر الصحابة الكرام والخلفاء الراشدين لوجدنا أنهم لم يفهموا هذه الأحاديث على الوجه الذي طبق في عهود التوريث السياسي.

ثم تطور شكل الاستبداد بقيام الأمراء والوزراء إلى الاستئثار بالأمر حتى لم يعد للخليفة من اسم الخلافة إلا الاسم، ويصف هذا الوضع في غاية الوضوح ابن خلدون[2] فيقول: (فربما حدث التغلب على المنصب من وزرائهم وحاشيتهم وسببه في الأكثر ولاية صبي صغير أو مضعف من أهل المنبت يترشح للولاية بعهد أبيه أو بترشيح ذويه وخوله ويؤنس منه العجز عن القيام بالملك فيقوم به كافله من وزراء أبيه وحاشيته ومواليه أو قبيله ويوري بحفظ أمره عليه حتى يؤنس منه الاستبداد، ويجعل ذلك ذريعة للملك فيحجب الصبي عن الناس ويعوده إليها ترف أحواله ويسيمه في مراعيها متى أمكنه، وينسيه النظر في الأمور السلطانية حتى يستبد عليه وهو بما عوده يعتقد أن حظ السلطان من الملك إنما هو جلوس السرير وإعطاء الصفقة وخطاب التهويل والقعود مع النساء خلف الحجاب، وأن الحل والربط والأمر والنهي ومباشرة الأحوال الملوكيّة

(١) القشيري، د.ت، مج٣، ص١٤٧٦.

(٢) ابن خلدون ، ١٩٨٨م، مج١، ص٢٣٢.

وتفقدها من النظر في الجيش والمال والثغور إنما هو للوزير، ويسلم له في ذلك إلى أن تستحكم له صبغة الرّئاسة والاستبداد، ويتحوّل الملك إليه، ويؤثر به عشيرته وأبناءه من بعده).

وقد كان للاستبداد فترات ظهور وقوة وفترات ضعف على مختلف مراحل الدولة العباسية، وحتى في عصر القوة والعنفوان، ومن هؤلاء الوزراء أبو سلمة الخلال في عهد السفاح، ثم خالد بن برمك واستمر إلى عهد الرشيد، ودُعي جعفر بن يحيى بالسّلطان أيّام الرّشيد، قد عظم أمرهم وشأنهم في الدولة وانتهت حياتهم بالنكبة الشهيرة، إلا أن استبداد الوزراء قد ظهر في تغلغلهم في أروقة الدولة، ولم يقف عند هذا الحد، بل أصبحوا يتوارثون المناصب فيما بينهم[(١)].

وهذا استبداد سياسي مذموم؛ كون منصب الخلافة والوزارة وغيرها لم يكن باختيار الأمة، وإنما يتوارثونها بينهم، وظل الحال في تولي الخلافة إلى أن زالت وانتهت، وقامت بعدها الدولة العثمانية، وتوارث الحكم كما فعلت الدولة العباسية والأموية، ولم تذق الأمة طعم الحرية في اختيار الخليفة إلا في عهد الخلفاء الراشدين الأربعة: أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم وعن الصحابة أجمعين.

٢,١,٢. الاستبداد الفكري (الديني):

وهو أصل للاستبداد السياسي، يقول الكواكبي[(٢)]: (تضافرت آراء أكثر العلماء الناظرين في التاريخ الطبيعي للأديان على أن الاستبداد السياسي متولد من الاستبداد الديني، والبعض القليل يقول: إن لم يكن

(١) ابن خلدون، ١٩٨٨م، مج١، ص٢٩٦.

(٢) الكواكبي، ٢٠٠٩، ص٢٩.

هناك توليد فهما أخوان، أبوهما التغلب وأمهما الرياسة، أو هما صنوان قويان بينهما رابطة الحاجة على التعاون لتذليل الإنسان، والمشاكلة بينهما حاكمان: أحدهما في مملكة الأجسام، والآخر في عالم القلوب).

وقد استغل العباسيون الدين استغلالاً كبيرًا؛ حيث ادعوا أن آل بيت النبي ﷺ هم أحق الناس بالخلافة، وهي دعوى لا دليل صحيح عليها، فلو كانوا أحق بها لما سكت الرسول ﷺ عن ذلك، إلا أن العباسيين استغلوا هذه الدعوى، فمؤسسها هو: عبد الله (السفاح) محمد بن علي بن عبد لله بن العباس بن عبد المطلب عم النبي ﷺ، ويعتبر قيامها انتصارًا للفكرة التي نادى بها بنو هاشم (العلويون) بإسناد الخلافة إلى أهل الرسول وذويه منذ وفاة النبي ﷺ [(١)].

وقد عد العلماء والمفكرون أن الاستبداد باسم الدين أو التربية ضمن الاستبداد الفكري؛ لأن فيه انفراد بالرأي دون السماح بالمشاركة لأحد فيه، ولذا فالاستبداد الفكري في العصر العباسي كان على ثلاثة أنواع:

١) **استبداد ديني سياسي**: وهي المتعلق بالحكم والسياسة، وقد ظهر من خلال استخدام الدين لتحقيق أغراض سياسية، فأضفوا على حكمهم صبغة دينية، وهي أنهم أحق بالحكم× كونهم من آل بيت النبي ﷺ، واستشهدوا لذلك بأحاديث إما ضعيفة وموضوعة، وإما أحاديث أولوها لصالح مشروعهم في الحكم، وهذا استبداد واستغلال بنفس الوقت، وقد كان ذلك إما عن قصد في تفسيرها، أو عن اعتقاد فعلي في أحقيتهم بالحكم.

---

(١) الطبري، ١٤٠٧هـ، مج٤، ص٣٠٥ وكذلك، العسيري، ١٩٩٦م، ص١٧٤.

٢) **استبداد ديني مذهبي**: وهذا الأمر قد كان بعيدًا إلى حد ما عن الحكم، وقد أعطوا للفقهاء والعلماء والمترجمين واللغويين والشعراء وغيرهم حرية كبيرة في التأليف والتدريس والتعليم، فظهرت في عهدهم المذاهب الفقهية، والمدارس اللغوية، وهي ميزة تحسب للدولة العباسية لا ينكرها منصف، ونحن عندما نتحدث عن الاستبداد باعتباره خلق مذموم لا يعني نسف كل قيم الدولة العباسية وما قدموه للأمة من جوانب مشرقة، فقد رأينا نماذج رائعة فيها من الإجلال للفقهاء والعلماء والحفاظ وأهل العلم ما تقر به الأعين، ومع ذلك رأينا مواقف من الاستبداد ببعض أهل العلم وبعض المذاهب العقدية والفكرية ما يندى لها الجبين.

٣) **استبداد فكري أدبي**: ويظهر من خلال الأدوار التي قدمها الشعراء والمغنون والمطربون، فقد سلكوا مسلك النفاق والمديح المبالغ فيه للأمراء والوزراء، وجنوا من خلاله أمولاً طائلة وزادوا بهذا من استبداد الأمراء وتسلطهم، ويزداد الاستبداد باستخدام السلطة ضد من عارضهم، أو تهميش من لم يتقدم منهم إلى بلاط الحكم، وكتب التاريخ مليئة بمثل هذه النماذج من صور الاستبداد.

٣,١,٢. الاستبداد الاقتصادي:

والاستبداد الاقتصادي يعني الانفراد بأموال الدولة، والتصرف فيها من قبل الخليفة أو الوزير أو الأمير كما يشاء دون حسيب ولا رقيب، وقيل في تعريفه:)بأنه انفراد شخص أو مجموعة أشخاص أو هيئة أو جهة اعتباريه بمصادر القوة المالية والاقتصادية في المجتمع)[1].

(١) بريس، ٢٠٠٨م.

وفي العصر العباسي كانت التصرفات تنبي عن استبداد كبير في الأموال، ويعبر عن ذلك قول أبي جعفر المنصور: (وأنا خازنه على فيئه، أعمل بمشيئته، وأقسمه بإرادته، وأعطيه بإذنه، قد جعلني الله عليه قفلاً، إذا شاء أن يفتحني لأعطياتكم وقسم فيئكم وأرزاقكم فتحني، وإذا شاء أن يقفلني أقفلني، فارغبوا إلى الله أيها الناس، وسلوه في هذا اليوم الشريف الذي وهب لكم فيه من فضله ما أعلمكم به في كتابه)[١].

وهذا النوع من الاستبداد متفرع عن الاستبداد السياسي، وذلك أن التصرف في المال لا يكون إلا لمن كان له اليد الطولى في الحكم والسلطة، إلا أن العبث بالمال قد لقي انتقادًا قويًا من العلماء والمفكرين قديمًا وحديثًا، يقول سيد قطب [٢]: (وعدنا نسمع عن الهبات للمتملقين والملهين والمطربين، فيهب أحد ملوك (أمية) اثني عشر ألف دينار لمعبد، ويهب هارون الرشيد من ملوك العباسيين- إسماعيل بن جامع المغني في صوت واحد أربعة آلاف دينار، ومنزلاً نفيس الأثاث والرياش... وتنطلق الموجة في طريقها لا تقف فترة بين الحين والحين). ويلاحظ أن الاستبداد المالي قد رافق الحكم العباسي منذ بداية العصر وحتى نهايته، وهو أمر لم يختصوا به، فقد كان كذلك العصر الأموي قبلهم والعصر العثماني بعدهم، ولا يعرف هذا الاستبداد في عهد الخلفاء الراشدين الأربعة.

٢,٢. أسباب الاستبداد في العصر العباسي:

١,٢,٢. أسباب الاستبداد عامة:

أولاً: الجهل: وذلك أن الجهل بيت الاستبداد الذي يأنس فيه

(١) الطبري،١٣٨٧هـ، مج٨، ص٨٩.

(٢) سيد قطب، ١٩٩٣م، ص١٦٤.

ويترعرع في جوانبه، فما دام الناس في غفلة وجهل يزداد الاستبداد تجبرًا وتكبرًا، يقول الكواكبي [1]: (والحاصل أن العوام يذبحون أنفسهم بأيديهم بسبب الخوف الناشئ عن الجهل والغباوة، فإذا ارتفع الجهل وتنور الخوف وأصبح الناس لا ينقادون طبعًا لغير منافعهم، كما قيل: العاقل لا يخدم غير نفسه، وعند ذلك لابد للمستبد من الاعتزال أو الاعتدال). فالعلم ضد الجهل؛ بل بظهور العلم وتنور عقول الناس يزول الاستبداد والجهل معًا، وبزوالهما يتحقق العلم والعدل والشورى، ولذا كانت أولى مهمات الرسالات الربانية هي إحياء العلم، وهو أخوف ما يخافه المستبدون والمتجبرون.

ثانيًا: فقدان التربية الأخلاقية: فالتربية الأخلاقية هي أساس من أسس الحرية، وفقدانها يؤدي إلى الانحطاط، وغالبًا ما يكون فقدانها بسبب الركون إلى الكسل الذي يجعل المرء يكف عن طلب العلم، وعندما تتراجع التربية والتعليم يوجد الاستبداد ويزداد فجورًا وجورًا، فيعادي الناس العلم، ويصبح مجرد مظاهر أو ثياب يلبسها الإنسان [2].

ثالثًا: العقيدة الجبرية: ويقصد بذلك الاعتقاد بأن الإنسان مسير لا مخير، فكل ما يفعله الإنسان إنما هو مجبر عليه، وليس له فيه إرادة، وفي تعريفه الجبر يقول الشهرستاني [3]: (هو نفي الفعل حقيقة عن العبد وإضافته إلى الرب تعالى)، وهي عقيدة التقطها بعض الملوك والأمراء لتعزيز استبدادهم بالرعية، بدعوى أن حكمهم وسلطتهم ما هي إلا إرادة الله تعالى.

(١) الكواكبي، ٢٠٠٩م، ص٤٧.

(٢) طحان، ١٩٩٢م، ١٥٩-١٦٠.

(٣) الشهرستاني، ١٤٠٤هـ، مج١، ص٨٤.

رابعًا: انحلال الرابطة الدينية والقيمية: حيث أصبح الملوك يبحثون عن مصادر دينية لتبرير الاستبداد، ومن ذلك على سبيل التمثيل الاستدلال بالأحاديث على أن آل البيت هم الأحق بالخلافة دون غيرهم، أو الاستدلال بالأحاديث على طاعة ولي الأمر ولو كان جائرًا ظالمًا، وهكذا يستمر التفكير في جوانب الدين واستغلال ذلك في المصالح الشخصية الاستبدادية، مع أن الدين منظومة متكاملة لا تسمح بالاستبداد ولا التبرير، ولا تكتمل رابطة الدين إلا بالمراقبة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعدم السكوت عن الظلم دون نصرة المظلوم، ولا يقبل الإسلام بالطاعة العمياء بين الناس، ولا أكل أموال الناس بالباطل، ولا أن تكدس الأموال بيد فئة قليلة من المجتمع، ولا أن تسلب حريات الناس، فالحاكم خادم لشعبه لا متسلط عليهم، وجعل الإسلام أفضل أنواع الجهاد قول كلمة الحق أمام الظلمة المستبدين، يقول الرسول ﷺ: (ألا إن أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر)[1]، ويقول عمر الفاروق لعمرو بن العاص: (مذ كم تعبّدتم الناس وقد ولدتهم أمّهاتهم أحرارًا؟)[2]، وهذان الحديثان ينافيان فكرة الاستبداد، فليس أمام كلمة الحق حدود، وليس للحاكم الحق في استعباد الناس والاستبداد بأمرهم، بل هم أحرار منذ ولادتهم، هكذا يقرر الإسلام، وهكذا ينبغي فهم النصوص الواردة بمجموعها.

خامسًا: إحراز الكماليات عن طريق المال: وهو أمر يشترك فيه كل المستبدين الظلمة، حيث يسعون إلى تحقيق الترف والرفاهية وأكبر قدر من الكماليات على حساب الآخرين، ويسعون إلى حماية ذلك عن طريق

(١) ابن حنبل، ٢٠٠١م، مج١٧، ص ٢٢٧.

(٢) المصري، ١٤١٥هـ، ص١٩٥.

الاستبداد بالحكم، حيث تجتمع عناصر القوة بأيديهم. يقول[1]: (كما يمكن لأصحاب المال أن ينشئوا استبدادًا سياسيًا، فإن حب التمول الشره ومحاولة إحراز الكماليات بشتى الطرائق الممكنة بما في ذلك التضييق على حاجات الآخرين، وانتزاع ما هو ضروي من أيدي الآخرين يبلغ ذروته حين يصبح الطامع نفسه هو مشرع قانون حيازة الأموال وراسم شروط التمول، ولهذا فإن محبي كنز الأموال يسارعون إلى الحصول على مقاليد الحكم؛ ليمكنهم أن يحموا احتكارهم من ثروة الفقراء؛ لأنهم يعلمون أن المال لا يجتمع في أيديهم إلا بأنواع الغلبة والخداع).

تلك أبرز الأسباب العامة للاستبداد، ويضيف بريس[2] جملة من الأسباب من منظور معاصر، ومن ذلك:

١) عدم الفصل بين السلطات الثلاث... التشريعية والتنفيذية والقضائية وتركزها في يد شخص واحد بحيث يكون هو القاضي والمشرع والمنفذ في آن واحد والسلطة المطلقة مَفسَدَةٌ مطلقة كما يقول بعضهم.

٢) عدم التناسب بين مبدأي المسؤولية والمحاسبة حيث نجد أن الحاكم المستبد في العادة له صلاحيات واسعة بل مطلقة، ولكن لا يقابل هذه الصلاحيات أي مساءلة، وهو ما يطلق له حرية التصرف في الأمور وفقًا لمزاجه وهواه؛ لأنه يشعر أنه غير محاسب أو مسائل.

٣) عدم توزيع مصادر القوة بين الدولة والمجتمع وضعف آلية الرقابة على السلطة بحيث تحاسبها إذا أخطأت أو تعزلها إذا أخلت.

---

١)) طحان ، ١٩٩٢م، ص١٥٣.

٢)) بريس ، ٢٠٠٨.

٤) عدم التمسك بقيم ومبادئ الدين الإسلامي التي تحث على مناهضة الاستبداد، ودعت إلى تحقيق العدل والمساواة والشورى في الأمر واحترام الإنسان.

٥) وجود ثقافة مجتمعية مهادنة للاستبداد وقابلة للتعايش معه والعيش تحت ظلاله من قبيل تعظيم الحاكم والنظر إليه على أنه لا يخطئ أو كمن لا يجوز نقده أو محاسبته.

٦) تركز معظم الأنشطة الاقتصادية والتجارية في يد الدولة، وضعف القطاع الخاص، وقلة المشاريع الاقتصادية الأهلية مما يجعل الناس غير متحررين في نمط معيشتهم.

٢,٢,٢. أسباب الاستبداد في العصر العباسي:

في العصر العباسي كان الاستبداد السياسي ظاهرًا ومتنوعًا في مفاصل الدولة وأروقتها، وترجع الأسباب إلى ما تقدم ذكره في الأسباب العامة، ويضاف إلى ذلك ما يأتي:

١) **دعوى الانتصار لآل بيت النبي ﷺ بحجة أنهم أصحاب الحق في الحكم**: وصى النبي أصحابه بآل بيته في أحاديث كثيرة منها حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (إني أوشك أن أدعى فأجيب، وإني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله -عز وجل-، وعترتي، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي: أهل بيتي، وإن اللطيف الخبير أخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا)[1]. وقد كان هذا أحد أسباب قيام الدولة العباسية، وأحد أسباب استبدادهم بأمر السلطة والحكم، فقد فهموا من الأحاديث

---

١)) أحمد، ٢٠٠١م، مج١٧، ص٢١١

الواردة في أهل البيت (العترة) أنهم الأحق بالإمامة من غيرهم، ولذا ضلوا سنوات من التحضير والإعداد والدعوة والتنظيم، وكان محمد بن علي بن عبد الله بن عباس هو المؤسس الفعلي للتنظيم السري في الدعوة العباسية، ومما يشهد على استغلالهم مكانة آل بيت النبي ﷺ رسالته الموجة إلى أبي عكرمة السراج عندما أرسله إلى خراسان، حيث قال له: (فلتكن دعوتكم إلى الرضا من آل محمد، فإذا وقعت بالرجل في عقله وبصيرته فاشرح له أمركم... وليكن اسمي مستورًا عن كل أحد، إلا عن رجل عدلك في نفسك)[1]. فلما انتهى إليهم الأمر استبدوا بالحكم دون غيرهم، وضيقوا على إخوانهم من آل البيت العلويين في بعض المراحل، فنكلوا بهم وشردوا، واستمرت إدارة الدولة بأيديهم يتناقلونها ويتوارثونها، وهو أمر مستنكر، فلم تكن الخلافة في عهد الراشدين تورث ولا يستبد بها بيت دون الأمة مالكة الحق، وقد كان النبي ﷺ في غاية الذكاء والحكمة، فلم يعهد بالخلافة لأحد من البشر ولا لبيت من البيوت ولا لأسرة من الأسر، فمهما تكلف القائلون بغير هذا فليس له من الأدلة ما يثبت دعواهم. وبهذا يدرك القارئ للتاريخ كيف كانت الدعوة لآل البيت سببًا في استبداد العباسيين بالحكم والسلطة.

٢) **مساهمة المجتمع في تكريس معاني الاستبداد:** فكثيرًا ما كان الناس في المجتمع يساهمون في تكريس الاستبداد من خلال التطبيل والمدح والثناء للحكام، يقول الكواكبي [2]: (يستدل على عراقة الأمة في الاستعباد أو الحرية باستنطاق لغتها هل هي قليلة ألفاظ التعظيم

١)) المسند، ١٤١٢هـ، ص٦٢

٢)) الكواكبي (٢٠٠٩م، ص٥٠

كالعربية مثلاً، أم هي غنية في عبارات الخضوع كالفارسية، وكذلك اللغة التي ليس فيها بين المتخاطبين أنا وأنت بل سيدي وعبدكم). وإذا نظرنا في تاريخ الدولة العباسية فقد كان المدح للحكام من قبل الرعية والشعراء والمغنين والمطربين يعكس حياة الاستبداد والاستئثار بالسلطة، فعندما تجد الشاعر نصيب الأصغر يمدح هارون الرشيد بأبيات تصرح بأن ليس للناس في الملمات إلا هو، وكأنه الوحيد في الأرض من يستطيع الحكم والإدارة، ومن ذلك قوله في قصيدة طويلة ذكرها الأصبهاني[1]:

لئن نال عبد اللّه قبل خلافة   لأنت من العهد الذي نلت أفضل

وما زادك العهد الذي نلت بسطة   ولكن بتقوى اللّه أنت مسربل

ورثت رسول اللّه عضوًا ومفصلاً   وذا من رسول اللّه عضو ومفصل

إذا ما دهتنا من زمان ملمّة   فليس لنا إلا عليك المعوّل

على ثقة منا تحنّ قلوبنا   إليك كما كنّا أباك نؤمّل

ونجد الشاعر أبا حية النميريّ يمدح المنصور ويهجو بني الحسن بقصيدته، وفيها:

عوجا نحيّ ديار الحيّ بالسند   وهل بتلك الديار اليوم من أحد

سللتموه عليكم يا بني حسن   ما إن لكم من فلاح آخر الأبد

قد أصبحت لبني العباس صافية   لجدع آناف أهل البغي والحسد

وأصبحت كلهاة الليث في فمه   ومن يحاول شيئًا في فم الأسد؟

---

١)) الأصبهاني (١٤١٥هـ، مج٢٣، ص٦

والشواهد في هذا الباب كثيرة، وهي بمجموعها تشهد على أن كثيرًا من الشعراء والمغنين والمطربين قد ساهموا في تكريس معاني الاستبداد من خلال المدح المبالغ فيها، ووصف الحكام بأوصاف الأنبياء والصحابة، بل ويتجاوزن أحيانًا مقام الآدمية ويصفونهم بأوصاف لا تقال إلا لله تعالى كقول نصيب السابق: (فليس لنا إلا عليك المعوّل)، وهكذا يجري السفهاء والجهلة وكثير من الشعراء مع أهواء ملوكهم وحكامهم في معاداة من لا يرضون عنه من البشر.

٣) **المال والجاه سببان للاستبداد وداعماه:** يسعى الإنسان إلى كسب المال بشتى الطرق والوسائل، وقد أودع الله في طباع النفس البشرية حب المال وجمعه، يقول تعالى: ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ (الفجر،٢٠)، يقول الكواكبي[1]: (المال هو مصدر الامتياز ومقياس الاحترام وأساس تولي السلطة)، وقد سعى العباسيون إلى الاستئثار بالمال، كونه أحد الدوافع الرئيسية للبشر لتحقيق المآرب والغايات الشخصية والجماعية، ولا يمكن لسلطة مستبدة بالسياسة تمسك يدها عن المال؛ فجمع المال والتحكم به والتصرف فيه إحدى غايات الاستبداد، وسيأتي في مظاهر الاستبداد كيف استخدم العباسيون قدرًا كبيرًا من المال في الترف والعبث، وصرفه على السفهاء وغيرهم.

٤) **دعوى أن الخليفة ظل الله:** هي فلسفة فكرية تتوافق مع هوى الحاكم المستبد الذي يرغب في الانفراد بالحكم وعدم معارضته له ولو بالكلمة والفكر، وقد بدأ فكر الاستبداد السياسي فعليًا منذ العهد بالخلافة ليزيد، ثم ما زال في التوسع، واستقر فكريًا وفقهيًا وذهنيًا

(١) الكواكبي، ٢٠٠٩م، ص٢٣.

وسياسيًا في العصر العباسي، حيث انتشرت فكرة وفلسفة (الخليفة ظل الله)، وهي فلسفة تشير إلى مدى ما وصل إليه الاستبداد في العصر العباسي، ويشهد لذلك مواقف وأحداث كثيرة، منها:

- يقول المسعودي[1] (يروى أنه لما أتي بمحمد بن المغيث إلى المتوكل وقد دعا له بالنطع والسيف، قال له: يا محمد ما دعاك إلى المشاقة؟ قال: الشقوة يا أمير المؤمنين، وأنت ظل الله الممدود بينه وبين خلقه، وإن لي فيك لظنين أسبقهما إلى قلبي أولاهما بك، وهو العفو عن عبدك).

- ويقول المسعودي أيضًا[2]: (عن شعبة بن شهاب اليشكري، قال: وجَّه بي المعتضد إلى محمد بن أحمد بن عيسى بن الشيخ لآخذ بالحجة عليه، فلما صرت إليه واتصل الخبر بأم الشريف أرسلت إليّ، فقالت: يا ابن شهاب، كيف خلفت أمير المؤمنين؟ قال: فقلت: خلفته والله ملكًا جذلاً، وحكمًا عدلاً، أمارًا بالمعروف، فعالاً للخير، متعززًا على أهل الباطل، متذللاً للحق، لا تأخذهُ في الله لومة لائم، قال: فقالت لي: هو والله أهل لذلك ومستحقه ومستوجبه، وكيف لا يكون ذلك كذلك وهو ظل الله الممدود على بلاده، وخليفته المؤتمن على عباده، أعزَّ به دينه، وأحيا به سنته، وثبَّت به شريعته).

وخلاصة القول: أن أسباب نشوء الاستبداد عامة بما في ذلك العصر العباسي تر جع إلى التشويهات التي لحقت المفاهيم الدينية، وإلى المال، والعلاقات التناحرية القائمة في بنية المجتمع، والجهل الشامل،

(١) المسعودي، ١٣٠٩هـ، مج٤، ص٤١.

(٢)المسعودي، ١٣٠٩هـ، مج٤، ص١٥٢.

والكسل، والتفرق شيعًا وأحزابًا، ولا يمكن للاستبداد البقاء إلا بالاعتماد على الجندية والتربية المنحلة والأخلاق المتردية، وجهل الرعية، وبعض النفوس المريضة التي أرقها فقدان المجد فراحت تطلب التمجد من التماهي مع المستبد وتقليده فيما يفعل [(١)].

٣. مظاهر الاستبداد في العصر العباسي:

بدأ الاستبداد السياسي في التاريخ الإسلامي يظهر منذ انحراف الحكم عن مساره الصحيح على يد معاوية ﵁ حينما أخذ الخلافة اعتمادًا على قوته بعد صراع مرير مع علي وابنه الحسن - رضي الله عنهما-، ثم ازداد الاستبداد ظهورًا عندما عهد معاوية بالخلافة لولده يزيد، ثم ترسخ بعد ذلك وأصبح الاستبداد مصاحبًا للحكم والسياسة في العصر الأموي ورافقه الاستبداد المالي والفكري وغير ذلك مما يتفرع من الاستبداد السياسي.

ثم ظهر العصر العباسي ولم يختلف عن العصر الأموي شيئًا، على الرغم من وعود قادته لتحقيق العدالة الاجتماعية، ولم تتحقق تلك الوعود، فالاستبداد والتحكم بالسلطة والقضاء والجيوش، والعبث بالمال العام، واستبداد بعض المذاهب على بعض، وتعسف بعض العقائد والأفكار على بعض كانت حاضرة في العصر العباسي، وبيان ذلك على النحو الآتي:

١,٣. استبداد الوزراء والأمراء الفارسيين على العرب:

قامت الدولة العباسية على عاتق الشيعة والخراسانيين والفرس منهم بشكل بارز، وكان هذا إيذانًا بعهد جديد، وليس هنا موضع

(١) طحان، ١٩٩٢م، ص٣٣٠٩.

التشكيك في إسلام هؤلاء ولا الاستدلال على أنهم أرادوا الانتقام من الدولة الإسلامية بعد ذهاب دولتهم العظيمة وحضارتهم الساسانية، فلقد كانوا على مرتبة عالية من العلم والأدب والبلاغة والفقه والجود والأخلاق، وإنما الحديث هنا على نوع الاستبداد الذي مارسته السلطة العباسية من خلال العصر الفارسي الشريك في الحكم والإدارة.

ظهرت الوزارة في الدولة الإسلامية في العصر العباسي، (وهي أمّ الخطط السّلطانيّة والرّتب الملوكيّة لأنّ اسمها يدلّ على مطلق الإعانة فإنّ الوزارة مأخوذة إمّا من المؤازرة وهي المعاونة، أو من الوزر وهو الثّقل كأنّه يحمل مع مفاعله أوزاره وأثقاله، وهو راجع إلى المعاونة المطلقة)[١]، وذهب بعض الباحثين إلى أن كلمة الوزارة فارسية ثم عربت، وأصلها الزور، وهو اسم للشدة والقوة، لأن الوزير يشد من حاكم الدولة، ويقويه ويعينه على أمور الدولة[٢].

وللعلاقة القوية بين الفرس والعباسيين ودور الفرس في تثبيت أركان الدولة للعباسيين فقد منح الخلفاء العباسيون هذا المنصب للفرس، وأصبح من اختصاصهم، فاستبدوا به دون الناس، وتوارثوه، فقد أوصى الخليفة المنصور ابنه بالفرس فقال (وانظر مواليك، فأحسن إليهم وقربهم، واستكثر منهم؛ فإنهم مادتك لشدة إن نزلت بك، وما أظنك تفعل، وأوصيك بأهل خراسان خيرًا، فإنهم أنصارك وشيعتك الذين بذلوا أموالهم في دولتك، ودماءهم دونك، ومن لا تخرج محبتك من قلوبهم، أن تحسن إليهم وتتجاوز عن مسيئهم، وتكافئهم على ما كان منهم، وتخلف

(١) ابن خلدون، ١٩٨٨م، مج١، ص٢٩٤.

(٢) العجلاني، ١٩٦٥م، ص٢٢٠.

من مات منهم في أهله وولده، وما أظنك تفعل)[1].

وعلى الرغم مما حصل لهم من النكبات في كثير من الأحوال، إلا أمرهم في الوزارة ذاع، وشهرتهم فاقت الناس، ومن هؤلاء[2]:

- يحيى بن خالد بن برمك: وتقلد الوزارة في عهد الرشيد، وكان من أكفأ الرجال، وقد فوض إليه الرشيد أمور الدولة، فنهض بها، وزاد من الدخل المالي ما قدره بعض المؤرخين بنحو ٤٠٠ مليون درهم، واستعان بالفقيه القاضي أبي يوسف الذي وضع نظامًا شاملاً للخراج وموارد الدولة، توفي يحي ابن خالد في الحبس سنة ١٩٠هـ.

- جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك: وكان أديبًا بليغًا عالمًا يضرب بجوده المثل، وكان مسرفًا على نفسه، غارقًا في بحر الملذات، تمكن من الرشيد حتى بلغ من الجاه والرفعة ما لا مزيد عليه، قتل سنة ١٨٧هـ.

- الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك: وكان كأبيه في السخاء والجود، ومات في الحبس سنة ١٩٢هـ.

- الحسن بن سهل: وكان من بيت رئاسة في المجوس فأسلم مع أبيه أيام الرشيد، وتقلد الوزارة أيام المأمون، وتزوج المأمون ابنته، توفي سنة ٢٣٠هـ.

وما ذكر ما هو إلا غيض من فيض، لا يتسع المقام لذكر كل الوزراء من أصول فارسية، إلا أن الحقيقة التي لا يمكن إنكارها أنهم تغلغلوا في مفاصل الدولة وسيطروا على أغلب المناصب، وأصبحت هذه المناصب تعرف بهم ولهم، كالوزارة والولاية والكتابة والحجابة وغيرها، وكانوا

(١) الطبري، ١٤٠٧هـ، مج٤، ص٥٤١.

(٢) ابن طولون، ١٤١٨هـ، ص٣١.

يتوارثون هذه المناصب عن آبائهم أحيانًا، كحال البرامكة، وقد كانت أمور الدولة ترجع إلى الوزراء يولون ويعزلون، وغالبًا ما يولون أصحابهم، بل كانوا في بعض فترات الدولة يسيرون الدولة برمتها، يقول ابن خلدون[1]: (فلمّا جاءت دولة بني العبّاس واستفحل الملك وعظمت مراتبه وارتفعت وعظم شأن الوزير وصارت إليه النّيابة في إنفاذ الحلّ والعقد، تعيّنت مرتبته في الدّولة وعنت لها الوجوه وخضعت لها الرّقاب وجعل لها النّظر في ديوان الحسبان لما تحتاج إليه خطّته من قسم الأعطيات في الجند فاحتاج إلى النّظر في جمعه وتفريقه، وأضيف إليه النّظر فيه، ثمّ جعل له النّظر في القلم والتّرسيل؛ لصون أسرار السّلطان، ولحفظ البلاغة؛ لما كان اللّسان قد فسد عند الجمهور، وجعل الخاتم لسجلّات السّلطان؛ ليحفظها من الذّياع والشّياع، ودفع إليه فصار اسم الوزير جامعًا لخطّتي السّيف والقلم وسائر معاني الوزارة والمعاونة حتّى لقد دعي جعفر بن يحيى بالسّلطان أيّام الرّشيد إشارة إلى عموم نظره وقيامه بالدّولة، ولم يخرج عنه من الرّتب السّلطانيّة كلّها إلّا الحجابة الّتي هي القيام على الباب فلم تكن له لاستنكافه عن مثل ذلك).

وعلى الرغم مما قدمه هؤلاء من محاسن وخدمات للأمة إلا أن الاستبداد والاستئثار بالمناصب لا يعكس على صلاح الحكم ولا نزاهة السياسة التي تدار بها الدولة، ولذا فقد انعكس ذلك سلبًا على الأمة، وظهرت هذا السلبيات في جوانب كثيرة منها:

١) تقديم العنصر الفارسي على العربي في أروقة الدولة وبلاط الخلافة، وأصبحوا مقدمين على غيرهم، لا يولون إلا أصحابهم.

---

(١)ابن خلدون، ١٩٨٨م، مج١، ص٢٩٦.

٢) التوسع الكبير في الجيوش الفارسية، كما فعل جعفر بن يحيى وغيره ممن تولى قيادة الآلاف من الجيوش.

٣) نشر الأفكار الفارسية، فقد (كثر في فترة حكمهم الامتزاج بين العرب والموالي، واختلطت ثقافات الشعوب في فكر العرب وفي ممارساتهم العامة، مما زاد في تسرب العادات البيزنطية والفارسية والجاهلية، فنشب صراع أدى إلى ظهور الشعوبية وظهور علم الكلام)[١].

٤) التأثير على رأس الدولة، فكثيرًا ما كان الخليفة رمزًا لا قيمة له في الواقع العلمي؛ لأن الأمر بأيدي الوزراء، وهذا يعني الاستبداد بالسلطة بما لا يتفق مع قوانين الحكم والإدارة والسياسة.

٥) كثرة الجواري والإماء الفارسيات في القصر العباسي وسائر مفاصل الدولة، والزواج والتسري بهن من قبل الخلفاء والولاة العرب، فكان أغلب الخلفاء من أمهات فارسيات، يقول الجاحظ [٢]: (وليس من خلفاء بني العباس من أبناء الحرائر إلا ثلاثة: السفاح، والمنصور، والأمين، والباقون كلهم أبناء الجواري، وقد علقت الجواري؛ لأنهن يجمعن عز العرب، ودهاء العجم)، وهذا أمر يعكس حالة التأثير الفارسي الكبير في الدولة العباسية.

٢,٣. استبداد المذهب الشيعي على المذهب السني:

١,٢,٣. استبداد الشيعة في العصر العباسي الأول:

تعد الدولة العباسية من سلالة بيت آل النبي ﷺ، فالعباس ابن عبد المطلب هو عم النبي ﷺ، وقد كانوا على علاقة وثيقة مع العلويين

(١) طحان، ١٩٩٢م، ص٤٢.

(٢) الجاحظ ، ١٤٢٣هـ، ص٣٣٥.

الذي ترجع سلالتهم إلى آل البيت، فاتحدت أهدافهم في إسقاط دولة الأمويين الذين يعتبرونهم غاصبين للحكم، ولذا فقد صنف ابن خلدون الدولة العباسية ضمن دول الشيعة، حيث قال: (هذه الدولة من دولة الشيعة كما ذكرناه وفرقها منهم يعرفون بالكيسانية، وهم القائلون بإمامة محمد بن عليّ بن الحنفية بعد عليّ، ثم بعده إلى ابنه أبي هشام عبد الله. ثم بعده إلى محمد بن عليّ بن عبد الله بن عبّاس بوصيته كما ذكرنا). ثم بعده إلى ابنه إبراهيم الإمام ابن محمد، ثم بعده إلى أخيه أبي العبّاس السفّاح وهو عبد الله بن الحارثية، هكذا مساقها عند هؤلاء الكيسانية، ويسمّون أيضًا الحرماقيّة نسبة إلى أبي مسلم؛ لأنه كان يلقب بحرماق، ولبني العبّاس أيضًا شيعة يسمّون الراوندية من أهل خراسان يزعمون أنّ أحق الناس بالإمامة بعد النبيّ ﷺ هو العبّاس؛ لأنه وارثه وعاصبه؛ لقوله: ﴿وَأُولُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُم أَولَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللّهِ﴾ (الأنفال، ٧٥)، وأنّ الناس منعوه من ذلك وظلموه إلى أن ردّه الله إلى ولده، ويذهبون إلى البراءة من الشيخين وعثمان ويجيزون بيعة عليّ؛ لأنّ العباس قال له: يا ابن أخي هلم أبايعك فلا يختلف عليك اثنان، ولقول داود بن عليّ (عم الخليفة العبّاسي) على منبر الكوفة يوم بويع السفّاح: يا أهل الكوفة إنه لم يقم فيكم إمام بعد رسول الله ﷺ إلا عليّ بن أبي طالب وهذا القائم فيكم، يعني السفّاح)[1].

ويجدر الإشارة إلى أن العباسيين يختلفون عن الشيعة العلويين في كثير من القضايا، كالإمامة، حيث تحصرها الشيعة الإمامية في الأئمة الاثني عشر، وأما العباسيون فلم يكن يعرف عنهم ذلك، غير أنهم كانوا

(١) ابن خلدون، ١٩٨٨م، مج٣، ص ٢١٨.

يتفقون مع الشيعة العلوية في أحقيتهم بالحكم وأن الخلافة في آل البيت، وأنهم هم الأحق بها من سائر البشر، وقد استمر شيعة آل البيت العلويين على اختلاف بطونهم وأسرهم يقاتلون لأجل هذا، وقد اختلف العباسيون معهم، وتقاتلوا في أكثر من موقعة، وثار العلويون أكثر من مرة في وجه الدولة العباسية.

ولذا فاستبداد المذهب الشيعي الاثني عشري أو الشيعي العلوي بكل فصائله لم يدم طويلاً، إلا أنه استفاد من هذا العصر كثيرًا، وتمكن في كثير من الأحيان من الوصول إلى مناصب عليا، فأبو مسلم الخرساني شيعي، وكانت دراسته وتعلمه على يد العلويين، ثم أصبح الرجل العسكري الأول والأقوى نفوذًا والمؤسس الفعلي للدولة العباسية، وكان يلقب بـ (أمير آل بيت رسول الله)، ومن أبرز ملامح استبداده وظلمه كثرة القتل وإراقة الدماء، وخاصة من العرب، قال الذهبي[1]: (كان أبو مسلم بلاء عظيمًا على عرب خراسان، فإنه أبادهم بحد السيف)، وقد كان يجمع حوله الموالي والشيعة الناقمين على حكم بني أمية ومن والاهم من العرب، وتوسع بحقده إلى العنصر العربي السني في كل البلدان التي خضعت له. وكان الشيعة في بلاد خرسان وفارس عامة يتمتعون بنفوذ قوي، وقد استمر نفوذ أبي مسلم الخرساني وسطوته إلى خلافة أبي جعفر المنصور التي قتل أبا مسلم؛ لكثرة ما أراق من الدماء، ولخوف الخليفة على ملكه منه.

وأما المأمون فقد كان من أقرب الخلفاء إلى الشيعة حتى أقر المتعة وشرع لعن معاوية في الخطب، وقرب زعماء الشيعة، وعهد بالخلافة لعلي

(١) قال الذهبي ، ١٩٨٥م، مج٦، ص٥٣.

الرضى بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق، وسماه الرضى من آل محمد، وطرح لبس السواد وأمر بلبس الخضرة، فلبسها هو وجنده، وكتب بذلك إلى الآفاق والأقاليم[1].

وفي بعض الأحيان قد يميل بعض الوزراء الفرس إلى العلويين الطامعين في الإمامة والخلافة الذين يعتبرونها حق إلهي لهم، ومن ذلك ما فعله يعقوب بن داود بعد توليه الوزارة في عهد المهدي، حيث أرسل إلى الزيدية في الشرق والغرب، فأتى بهم من كل حد وصوب، وولّاهم أمور الدولة، فكان هذا مما عتب به عليه، وهو أمر فيه من الخطورة على أمر الدولة العباسية ما فيه[2]. يقول العمرو[3]: (والحق أن هذا التصرف الخطير من الوزير يعقوب بن داود له عواقبه الوخيمة على مستقبل الدولة العباسية؛ ذلك لأنه فتح الباب أمام الزيدية ليتغلغلوا في الدولة ويكثر نفوذهم، والعداء بين الزيدية بل العلويين عمومًا والدولة العباسية صار تقليديًا، ويكفي أن تعرف أن أخطر ثورتين تعرضت لهما الدولة العباسية في بدايتها كانت ثورة النفس الزكية وثورة أخيه إبراهيم وذلك سنة ١٤٥هـ).

٣,٢,١. استبداد الشيعة في العصر العباسي الثاني (البويهيين):

وهم شيعة من بلاد الديلم، ويرجعون في نسبهم إلى الملوك الساسانية، وقد استمدوا اسمهم من (أبي شجاع بويه)، وحكموا العراق وفارس والري والكرج والأهواز، ودخلت الدول العباسية في عهدهم -الذي

---

(١) ابن كثير، ١٩٨٨م، مج١٠، ص٢٦٩.

(٢) الطبري، ١٤٠٧هـ، مج٤، ص٥٧٥.

(٣) العمرو، ١٩٧٩م، ص٢٢١.

امتد من ٣٣٤هـ، وحتى ٤٤٧هـ- مرحلة شديدة الخطورة، تجسد فيه الاستبداد بصور مختلفة، فقد سيطروا على الخلفاء، واستبدوا بالحكم والإدارة، وظهرت منهم صنوفًا من الظلم والجور والبطش، ومن ذلك ما يأتي:

١) بطشهم بالخليفة العباسي المستكفي بالله، وذلك بعد أن دخلوا بغداد فلم يكن له حينها حول ولا قوة، فقد أهين في قصر الخلافة، وسحب إلى الأرض، وسملت عيناه، وحبس حتى مات بعد ذلك بأربع سنين[١].

٢) نصب الشيعة للخلافة أبا القاسم الفضل بن المقتدر بالله، ثم ولده، إلا أن الحكم والفصل كان للشيعة، وكانت بأيدهم مقاليد السلطة، يولون ويعزلون، ويجمعون الأموال ويقسمونها كما يشاؤون، حتى الخلافة كانوا هم من يحددون له راتبه، فقد جرد الخليفة من كل سلطاته، وأصبح مجرد موظف مهمته إضفاء صفة الشرعية على سلطانهم[٢].

٣) استبدوا بالحكم وأدخلوا تعديلات على الإدارة، ومرت مؤسسة الوزارة بمرحلة حاسمة، ومن ذلك فرض نظام الوزارة من وزيرين، وحصل ذلك أيام عضد الدولة، وكان هذا مدخلاً للنزاع بين الوزرين، إلا أن الوزير الصاحب بن عباد أعاد الوزارة إلى نظامها في نهاية القرن الرابع الهجري[٣].

٤) استبدوا بالدين، وانتشرت جرائمهم الدينية، ومن ذلك: (أنهم فرضوا التشيع دينًا، واتخذوه ستارًا لنشر الأفكار والمعتقدات المجوسية،

(١) الأنطاكي، ١٩٩٠م، ص٥٤.
(٢) ابن كثير، ١٩٨٨م، مج١١، ص٢٤٠.
(٣) ابن الجوزي، ٢٠١٣، مج١٧، ص٥٣٩.

وبثوا الفتن بين المسلمين على أساس التفريق بين أهل السنة وبين الشيعة، وانتشر في عهدهم سب الصحابة، وهم أول من أظهر بدعة إغلاق الأسواق في يوم عاشوراء من المحرم، ونصب القباب، وأظهروا معالم الحزن، وأخرجوا النساء يلطمن وينحن على الحسين، وهن سافرات ناشرات لشعورهن، وتجرأوا على ذات الله تعالى، حيث تسمى آخر ملوكهم بالملك الرحيم، منازعة لله في اسمه)[1].

٥) (في هذه الفترة وضعت أسس ومبادئ التشيع، ووضع عن آل البيت أقوال وأفعال لم تصدر عنهم أبدًا (نتيجة هيمنة الدول الشيعية)، وكثر القتال وزادت الفتن بين السنة والشيعة)[2].

٦) لم يكونوا يهتمون بحماية حدود الدولة الإسلامية، يقول الصلابي: (استغاث أهل الجزيرة بالعاصمة بغداد لصد غارات الروم واستجاب الشعب في بغداد لهذا النداء، وتجهزوا للجهاد، وأرسل بختيار بن معز الدولة إلى الخليفة يطلب مالاً لتجهيز الناس للغزو، واضطر الخليفة لبيع أثاث بيته ليدفع له الأموال، ولكن بختيار أنفقها على مصالحه الشخصية وأبطل أمر الغزو، وهكذا ظهر أن بختيار كان مراوغًا ولم يكن صادقًا في طلب الأموال أو التهيؤ للغزو والجهاد، وإنما كان يقصد استنزاف أكثر قدر ممكن للقدرة المالية للخلافة العباسية رغم ضعفها)[3].

وهذه النماذج المذكورة من الاستبداد – وغيرها كثير- تعكس إلى أي حد وصل تعسف الشيعة في العصر العباسي، واستبدادهم الديني،

(١)مجهول، ٢٠١١م، ص٣٦.

(٢) العسيري، ١٩٩٦م، ص٢١٠.

(٣) مجهول، ٢٠٠٦م، ص ٣٤.

واستخدام السلطة بكل مؤسساتها، من القضاة والمال والعسكر والوزراء والأمراء والقادة والنظراء، ومنابر المساجد والخطب، وحلقات العلم والمكتبات، فقد وضعوا ثقلهم لنشر مذهبهم، وتغيير هوية المجتمع السني.

٣,٣. استبداد الفكر المعتزلي على الفكر السني:

والمعتزلة فرقة إسلامية تنتسب إلى واصل بن عطاء، وقد تميزت بتقديم العقل على النقل، ويقوم فكرهم على الأصول الخمسة: التوحيد، والعدل، والوعد والوعيد. والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتسمى هذه الفرقة: القدرية والوعيدية والعدلية، سموا معتزلة لاعتزال واصل بن عطاء مجلس الإمام الحسن البصري بعد خلافه معه حول حكم الفاسق(١).

انتشر الفكر المعتزلي في العصر العباسي، ووصل إلى هرم السلطة والقيادة، وكان له تأثير كبير على العقول والعقائد والأفكار، فإلى جانب ما قدمه من حرية العقل والفكر، وما نتج عنه من علوم عقلية وطبيعية وفلسفية في جميع جوانب الحياة، وما قدموه من خدمات للبشرية إلا أنهم مارسوا الاستبداد بحق خصومهم في الفكر بحكم تمكنهم من القيادة والتأثير على الخليفة المأمون؛ حيث اعتنق الاعتزال عن طريق بشر المريسي وثمامة بن أشرس وأحمد بن أبي دؤاد وهو أحد رؤوس بدعة الاعتزال في عصره ورأس فتنة خلق القرآن، وكان قاضيًا للقضاة في عهد المعتصم(٢).

---

(١) الموسوعة الميسرة، ١٤٢٠هـ، مج١، ص ٦٤.

(٢) ابن كثير، ١٩٨٨م، مج١٠، ص ٣٠٥.

ويمكن تلخيص أبرز مظاهر استبداد المعتزلة في الأمور الآتية:

١) مشاركتهم في توارث العلويين، بعد أن انقرضت الدولة الأموية وجاءت الدولة العباسية، فهم في حقيقة أمرهم شيعة[١].

٢) أن نشاطهم واستبدادهم لم يظهر إلا في عهد العباسيين، وخاصة عهد المأمون، حيث تأثر بأفكارهم ومعتقداتهم، وبدأوا يفرضون على الناس هذه الأفكار بالسلطة وأحيانًا بالقوة، وقد استمر تسلطهم في عهدي المعتصم والواثق، إلى أن غيّر الخليفة المتوكل هذا النهج[٢].

٣) تعاملهم القاسي مع مخالفيهم، وخاصة علماء أهل السنة، ولعل فتنة خلق القرآن أظهر دليل على التعسف والاستبداد الذي مارسته المعتزلة ضد خصومهم، واستخدموا السلطة في ذلك، وطلب الخليفة المأمون من ولاته امتحان العلماء والقضاة، وسار على نهجه كل من الخليفتين المعتصم والواثق، فقتل وجلد وعذب فقهاء وعلماء من أهل الحديث، يعبر عن ذلك ما نقله الخطيب[٣] عن أبي العبّاس بن سعيد قوله: (لم يصبر في المحنة إلّا أربعة كلهم من أهل مرو أحمد بن حنبل أبو عبد الله، وأحمد بن نصر بن مالك الخزاعي، ومحمّد بن نوح بن ميمون المضروب، ونعيم بن حماد وقد مات في السجن مقيدًا، فأمّا أحمد بن نصر فضربت عنقه، وهذه نسخة الرقعة المعلقة في أذن أحمد بن نصر بن مالك: بسم الله الرّحمن الرّحيم هذا رأس أحمد بن نصر بن مالك دعاه عبد الله الإمام هارون وهو الواثق بالله أمير المؤمنين إلى القول بخلق

(١) العمرجي، ٢٠٠٠م، ص٨٠-٨٤.

(٢) العمرجي، ٢٠٠٠م، ص٨٠-٨٤.

(٣) الخطيب (١٤١٧هـ، مج٩، ٣٨٥.

القرآن ونفى التشبيه فأبى إلا المعاندة فجعله الله إلى ناره، وكتب محمّد بن عبد الملك).

٤) لم يكتف المعتزلة بهذا الاستهتار بدماء الناس والاستخفاف بحرمة العلم والعلماء الذي مارسته، بل واصلوا التبرير لجرائمهم، واستخدموا الدين أداة لضرب الناس وقتلهم، ولك أن تدرك ذلك جليًا فيما ذكره الخطيب[1] في قصة التعسف والقتل الذي نفذوه على العلماء، أن الخليفة المتوكل لما جلس دخل عليه عبد العزيز بن يحيى المكي، فقال: يا أمير المؤمنين ما رؤى أعجب من أمر الواثق قتل أحمد بن نصر وكان لسانه يقرأ القرآن إلى أن دفن.

قال: فوجد المتوكل من ذلك وساءه ما سمعه في أخيه، إذ دخل عليه محمّد بن عبد الملك الزّيّات فقال له: يا ابن عبد الملك في قلبي من قتل أحمد بن نصر. فقال: يا أمير المؤمنين أحرقني الله بالنار أن قتله أمير المؤمنين الواثق إلّا كافرًا. ودخل عليه هرثمة فقال: يا أمير المؤمنين قطعني الله إربا إربا أن قتله أمير المؤمنين الواثق إلّا كافرًا. ودخل عليه أحمد بن أبي دؤاد. فقال: يا أمير المؤمنين ضربني الله بالفالج أن قتله أمير المؤمنين الواثق إلّا كافرًا. وهكذا ترى مظاهر الاستبداد في أرجاء الدولة التي كانت على قمة الزعامة العالمية، وهو أمر مؤسف.

٤. أثر الاستبداد في العصر العباسي:

يلازم الاستبداد السياسة أكثر من غيرها، وذلك لأنها توفر له عوامل الاستبداد، ويكاد إذا أطلق لفظ الاستبداد في العصر الحديث لا ينصرف إلى غيرها، والاستبداد قبيح كله، وجريمة بحق الإنسانية لا مبرر لها؛ لأنه

(١) الخطيب (١٤١٧هـ، مج٩، ٣٨٥.

يسلب حقوق البشر ويعبث بها، ويوفر النعيم والرفاهية لفئة قليلة على حساب الشعوب والمجتمعات، وينعكس سلبًا على جوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والفكرية والأدبية وغيرها، ولما كان هذا الحديث موجهًا إلى دراسة الاستبداد في العصر العباسي، فسينحصر الحديث هنا على آثار الاستبداد في هذا العصر، وذلك على النحو الآتي:

١,٤. أثر الاستبداد على الحياة السياسية:

كانت الحياة السياسة في العصر العباسي مشابهة لما كانت عليه في العصر الأموي، حيث التفرد بالسلطة والاستئثار بالحكم، وكان لهذه السياسة الاستبدادية آثارها، ومن ذلك:

١) **القضاء على الشورى**: لا يجتمع الاستبداد والشورى في آن واحد، فهما ضدان إذا وجد أحدهما انصرف الآخر، وفي العصر العباسي كانت الشورى مغيبة إلى حد كبير، وهي عبارة عن بعض الاستشارات غير الملزمة يقدمها الجلساء بطلب من الخليفة غالبًا، أما القرارات السيادية وكلمة الفصل فكانت للخليفة أو الوزير، فلا مجلس استشاري ولا أحد يلزم الحاكم بنتائج الشورى، ويعبر عن ذلك الراغب الأصفهاني (١٤٢٠[1]هـ، مج١، ص٤٧) بقوله: (وما زال المنصور يستشير أهل بيته حتى مدحه ابن هرمة بقوله:

يـزرن امـرأ لا يصـلح القـوم أمـره ولا ينتحـي الأدنــين فيمــا يحــاول

فاستوى جالسًا وقال: أصبت والله، فما استشار بعد ذلك، وقال بعض جلساء هارون: أنا قتلت جعفر بن يحيى، وذلك أني رأيت الرشيد يومًا وقد تنفس تنفسًا، مفكرًا فأنشدت في أثره:

---

(١) الأصفهاني ، ١٤٢٠هـ، مج١، ص٤٧.

واســــتبدّت مـــــرّة واحــــدة إنمــا العــــاجز مـــن لا يســــتبدّ

فأصغى إليه واستعاده، فقتل جعفرًا بعد عن لبث).

وما كان الأسلم لهما ولا لغيرهما من حكام الدولة العباسية ترك المشورة، فليسوا أعلى من مقام النبوة، فقد أمر الله تعالى نبيه بالشورى بقوله: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ (آل عمران، آية ١٥٩)، وجعل سبحانه الشورى من صفات المؤمنين فقال: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ (الشورى، آية ٣٨)، فليس في ترك الشورى إلا دليل على صفة الاستبداد لا غير.

٢) **اضطراب موازين العدالة**: إذا وجد الاستبداد اضطربت موازين العدالة؛ لأن العدل لا يتوافق مع المستبد، فلا صحة لقولهم: (المستبد العادل)، فكيف يكون عادلاً والاستبداد نفسه ظلم؟ ولذا فقد وجدنا في التاريخ العباسي مواقف قتل فيها أناس دون محاكمة ودون قضاء، ومن ذلك:

- ففي بداية عهدهم نكلوا بالعرب في خرسان كما حكاه الذهبي، وقد تقدم الحديث عنه.

- تنكيلهم بالأمويين سواء القادة أو غيرهم ممن لا ناقة لهم ولا جمل، وهذا التصرف لا يليق بالمسلمين، ولا هي من أخلاق الإسلام، فيروى أن عبد الله بن علي السفاح دخل مدينة دمشق فدخلها بالسيف وأباح القتل ثلاث ساعات من النهار، وجعل مسجد جامعها سبعين يومًا اصطبلاً لدوابه وجماله، ثم نبش قبور بني أميّة، فنبش قبر معاوية فلم يجد فيه إلّا خيطا أسود مثل الهباء، ونبش قبر عبد الملك بن مروان فوجد منه جمجمته، ونبش قبر هشام بن عبد الملك فوجد صحيحًا لم

يبل منه إلّا أرنبة أنفه، فضربه بالسياط وهو ميت، وصلبه أيامًا، ثم أمر به فأحرق بالنار، ودقّ رماده ونخل وذري في الريح، ثم تتبع بني أمية من أولاد الخلفاء وغيرهم فطلبهم فأخذ منهم اثنين وتسعين نفسًا (كذا عند ابن عساكر، وأما ابن كثير فقال: ألفًا)، ولم يفلت منهم إلّا صبي صغير يرضع، أو من هرب إلى الأندلس فلم يقدر عليه، فقتلهم على نهر بالرّملة [1]. وأي عدالة في هذا حتى لو قال قائل بأن هذا مبالغ فيه، فإن وحشية الحكم والسلطة لا يمكن أن يتغافل عنها أحد، ومن أعطاه الحق في إبادة أسرح بأكملها؟ ومن أباح له نبش القبور وتمثيل أصحابها وصلبهم وإحراقهم؟ ومن أباح له أملاك الأبرياء من بني أمية الذين أُخذوا لمجرد الانتماء لهذه الأسرة؟ لكنه الاستبداد بعينه والظلم الذي لا يبرره عقل ولا منطق.

- قسوتهم على مخالفيهم من العلماء والفقهاء، وقد قتل منهم الكثير، وكذا آل البيت العلويين وخاصة إذا شعروا بأي خطورة تمس السيادة والسلطة فقد كان العقاب دون قضاء وعدالة.

٣) **انعدام المراقبة والمحاسبة**: ومما تقدم يدرك القارئ الفطن أن تلك المظاهر للاستبداد حصلت دون مراقبة ومحاسبة للسلطان، فالقتل بأمر الخليفة أو الوزير ينفذ سواء كان حقًا أو ظلمًا، ويعبث بالمال ويصرفه في غير محله في كثير من الأحيان، ولا محاسب للسلطان ولا لأولاده ووزرائه، وهذا دليل واضح على استبداد السلطة، حيث ينعدم الحسيب والرقيب. يقول الرفاعي[2]: (وقد اشتدت ظاهرة الظلم في العصر العباسي الثاني وتضاعفت مع مضاعفة السلطة بين الخلفاء والمتغلبين.

(١) ابن عساكر، ١٩٩٥م، مج٥٣، ص١٢٧ وكذلك، ابن كثير، ١٩٨٨م، مج١٠، ص٤٩.
(٢) الرفاعي ، ٢٠٠٤م، ص٤١٩.

فقد أضيفت إلى وسائل القتل السمل والنفخ والفصد وقطع الأعضاء والحبس في المطامير والتوسيط، والموت عطشًا وجوعًا والطرح تحت أقدام الفيلة والإلقاء في حظيرة السباع. فكان الخليفة أو القائد المتغلب يختار لمن يقتله الميتة بإحدى هذه الوسائل).

قلت: هذا كله ناتج عن الاستبداد المقيت؛ لأن السلطان أو الوزير يرى نفسه فوق كل عقاب، وإن انتقم السلطان فلخوفه على عرشه، وهذه صفة المستبدين، وتلك هي آثارهم.

٤) **لا حرية مع الاستبداد**: وأي حرية مع الدماء التي سفكت أثناء قيام الدولة العباسية، وأنّا لنفوس رأت تلك المظلم الوحشية أن تنطق بكلمة الحرية تلك هي الدولة المستبدة التي لا تقبل سوى كلمات التمجيد والتقدير، يقول حسين[1]: (ومن مآثر الاستعباد: ما تتجشأ به اللها، وتسيل به الأقلام من صديد الكلمات التي يفتضح لك من طلاوتها أنها صدرت من دواخل قلب استشعر ذلة، وتدثر صغارًا، نحو: (مقبل أعتابكم)، (المتشرف بخدمتكم)، (عبد نعمتكم)، ولا أخال أحدًا يصغي إلى قول أحد كبراء الشعراء:

وما أنا إلا عبد نعمتك التي نسبت إليها دون أهلي ومعشري

٢,٤. أثر الاستبداد على الحياة الاقتصادية:

يؤثر الاستبداد على الحياة الاقتصادية ومعاش الشعوب وأرزاقهم، وترى الحياة مختلفة في بيئة الاستبداد، حيث العدل ظلمًا والظلم عدلاً، والفقير يعطي الغني، والأموال تذهب للأغنياء وقصور الملك والسلطان

(١) حسين ، ٢٠١٠م، مج٤، ص٥٧.

بدلاً من بيوت الفقراء والمساكين، ومن أعطاهم الله هذا الحق؟ وإذا تكلمنا عن الاستبداد في العصر العباسي فسترى آثار الاستبداد واضحة جلية، ومن ذلك:

١) **تصرف الخلفاء والوزراء في المال العام في غير محلة والعيش في ترف ورفاهية**: فقد ذكرت كتب التاريخ والأدب أن أموالاً هائلة صرفت على السفهاء من الشعراء والمغنين والمطربين، ووصل بهم الأمر إلى المبالغة من الأعطيات إلى العطية بعدد الأبيات الشعرية، والإسراف والبذخ الذي لا يقبله عقل سليم ناهيك عن مسلم مؤتمن على أموال الأمة، ومن النماذج الشاهدة على هذا الإسراف والتبذير بأموال الأمة ما ذكره بن طولون[(١)] أن المأمون تزوج بنت الوزير الحسن بن سهل بوران، وأنه لما دخل بها فرش لهما حصير منسوج بالذهب، ونثرت جدتها عليها ألف ألف وثلاثمائة جوهرة كبارًا وصغارًا، فأمر المأمون بذلك فجمع ودفعه لبوران، وألبستها أم جعفر البدلة الأموية اللؤلؤية، وكان عليها من الجواهر ما لم ير مثله في الدنيا، وأقام المأمون عند الحسن بن سهل سبعة عشر يومًا يعدّ له كل يوم ولجميع من معه ما يحتاج إليه، وخلع الحسن بن سهل على جميع القواد على قدر مراتبهم وحملهم ووصلهم، وكان مبلغ ما لزمه في هذا المهر خمسين ألف ألف درهم، وقيل: إن الحسن بن سهل كتب أسماء ضياع وأملاك له في رقاع فنثرها على القواد وقت عقد النكاح، فمن وقعت في يده رقعة فيها اسم ملك أو ضيعة بعث فتسلم ذلك، وقيل: إن جميع المال الذي أنفقه الحسن بن سهل في وليمة بنته بوران كان مبلغ أربعة آلاف ألف دينار.

---

(١) ابن طولون، ١٩٨٨م، ص٣٧.

وهذا أمر لا يفعله إلا المستبدون العابثون بأموال الشعوب، وإلا فمن أين له هذا المال وهذه الثروات الهائلة؟ ومن أعطاه الحق في التصرف بأموال المجتمعات حسب ما يملي عليه هواه ورغباته؟ فلا يُعرف هذا الإسراف والعبث إلا في زمن المستبدين.

٢) **يؤخذ المال من الفقراء للأغنياء**: فتصبح الحياة على غير السنة التي أمر بها، ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾ (الحشر، ٧)، وقد أصبح العباسيون أكثر عبثًا بالأموال من الأمويين: يقول إبراهيم [(١)]: (وقد كان الأمويون برغم وجود الترف بينهم أقل فسادًا بالمال من العباسيين؛ لأنهم كانوا أكثر انشغالاً بتثبيت دولتهم من ناحية، وبالجهاد في سبيل الله من ناحية أخرى، فأما العباسيون فبعد أن استتب لهم الملك أخذ الترف يسري بينهم سريعًا، خاصة بفعل الحاشية الفارسية المفسدة المتعمدة للفساد، ومن قصور الخلافة انتقل الترف بالعدوى إلى قصور الأمراء والوزراء، ثم قصور التجار الذين وصل دخلهم في التجارة العالمية إلى ملايين الدنانير، وشيئًا فشيئًا غلب الفساد على عاصمة الخلافة بغداد ثم العواصم الإسلامية الأخرى). فعلى الرغم مما أنكروه على الأمويين من اضطراب النظام المالي، إلا أنهم كانوا أكثر اضطرابًا واستغلالاً له.

٣,٤. أثر الاستبداد على الحياة الاجتماعية:

يؤثر الاستبداد على حياة الناس الاجتماعية، فلا يكتفي بأثره على السياسة والاقتصاد، بل يتعداهما إلى الحياة الاجتماعية؛ ليضمن بقاءه على هرم السلطة، ومن أبرز آثار الاستبداد على الحياة الاجتماعية في العصر العباسي ما يأتي:

(١) إبراهيم، ٢٠٠٨، مج١، ص١٤٧.

١) **الانزواء بعيدًا على السياسة وإدارة الدولة إلى التصوف وغيره**: وهذا هدف يسعى إليه المستبدون، فانعزال الناس والشعوب للحديث عن الحاكم ومراقبته أو نقده أو نصحه غاية له؛ لينفرد بالقرار، فترى الناس يتجهون إلى التصوف، وترى العلماء يتجهون إلى علوم اللغة والبلاغة والأدب، والفقه والأصول، والحديث وغيرها مما لا دخل لها في حياة الحاكم السياسية، يقول الرفاعي[١]: (وقد أدى اشتداد ظاهرة الظلم منذ العصر العباسي الثاني إلى نشاط التصوف والتفاف العامة حول المتصوفة، يجدون العزاء عندهم والاطمئنان، ويلتمسون في جوارهم الصبر على احتمال الظلم وتعزية النفس بوعيد الله الانتقام لهم).

٢) **ذهاب فضائل الأخلاق وظهور رذائلها**: ولا نقول بأن فضائل الأخلاق قد حاربها العباسيون، أو أنهم روجوا لرذائل الأخلاق، وإنما الاستبداد نفسه يؤثر على أخلاق الناس حتى تصبح جزء من الأخلاق المألوفة، فالمستبد لا يسمح بحرية الشعوب، ولا يقبل بحرية الكلمة والتعبير والنقد والنصح والتصحيح، فيظهر النفاق والرياء والكذب والمجاملة والتمجيد الكاذب؛ لغرض التقرب من السلطان، أو خوفًا منه، وتجنبًا لبطشه، كما يؤدي إلى اعتياد المذلة وضعف الثقة بالنفس، وإلفة الخضوع والتغاضي عن أفعال المستبدين السيئة، وهذه صفات فساد في المجتمع يرفضها الإسلام. وفي العصر العباسي ظهرت كثير من هذه الأخلاق السيئة الناتجة عن التسلط والاستبداد العباسي، يقول طحان[٢]: (أما ما يرغب في إفساده من الدين فهو القسم المتعلق

(١) الرفاعي، ٢٠٠٤م، ص٤٢٠.

(٢) طحان ، ١٩٩٢م، ص١٨٠.

بالأخلاق؛ لأنه هو الذي يشكل أسلوب التعامل بالآخرين، ويوجه العلاقات بين الأفراد، ولما كان الاستبداد يريد أن يفرض علاقات استبدادية بين الناس جميعهم، لذلك فإنه يعبث بالنص الديني الذي يطالب بالأخلاق الحميدة سعيًا لتحقيق الخير للجميع، فيجعله موحيًا بأن الأخلاق ليست إلا طاعة أولي الأمر).

٣) **دخول عادات غريبة على المجتمعات الإسلامية**: ويحصل هذا نتيجة الاستبداد والتسلط، فالمتسلط يفرض عاداته وتقاليده، وأفكاره ومعتقداته، بقوة السلطان والسيف، أو بقوة المال والجاه، وفي العصر العباسي احتفل الخلفاء وكبار رجال الدولة بالأعياد الفارسية، كالنوروز[١] والمهرجان ورام روز[٢]، وهذه الأعياد والاشتراك فيها قد الصلة والعلاقة بين الفرس والعباسيين من الناحية الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والدينية، إلا أن حضور الخلفاء وكبار رجال الدولة قد أعطاه صبغة سياسية، ودل على أن التأثير الفارسي قد وصل إلى رأس الحكم[٣].

٤) **غياب المسؤولية**: وذلك أن الوعي هو مقياس المسؤولية، فإذا انعدم الوعي يصبح المتجمع إحدى دعائم المستبد، بسبب جهلهم وانقيادهم إلى تعاليمه، بل ويكونون عونًا له على طغيانه[٤]، وفي الأثر:

---

(١) النيروز: عيد رأس السنة الفارسية، وهو أكبر الأعياد القوميّة للفرس، وهو عيد الربيع عندهم ، عمر، ٢٠٠٨م، مج٣، ص٢٣٠٤.

(٢) رام روز: من الأعياد الفارسية، ويقع في اليوم الحادي والعشرين من شهر مدماه الفارسي ، عبد الحافظ، ٢٠١٥م، ص١٩٢.

(٣) إبراهيم، ١٩٧٥، ص٥٣.

(٤) الكواكبي، ٢٠٠٩م، ص٢٩١.

(كما تكونوا يولى عليكم)[1]، ويجسد الشاعر اليمني محمد محمود الزبيري الحياة الاجتماعية البائسة عندما يموت الإحساس والمسؤولية فيقول[2]:

والشعب لو كان حيًا ما استخف به   وغد ولا عاث فيه الظالم النهم

(١)الخطابي، ١٩٨٨م، مج٣، ص١٥٨٠.

(٢) البردوني، ١٩٩٣م، ص١٣٣.

الخاتمة

أولاً: أهم النتائج:

١) أن الحديث في البحث عن الاستبداد في العصر العباسي لا يعني إنكار أو تغافل الإيجابيات التي قدمها العباسيون للأمة خلال عهدهم، ويكفيهم فخرًا ظهور المذاهب الفقهية الكبرى في عهدهم، وكذا تدوين الحديث والآثار والتفاسير، وظهور علوم اللغة وقواعده، بل والتدوين في كل العلوم.

٢) أن العباسيين قد مارسوا الاستبداد بكل أنواعه السياسي والفكري والاقتصادي، فلم يكن للأمة حرية اختيار الحاكم، ولا مبايعته إلا مجرد شكليات يقوم بها الخليفة.

٣) أن أسباب الاستبداد في العصر العباسي تعود إلى الجهل وفقدان التربية الأخلاقية، وفكرة الدعوة لآل بيت النبي ﷺ بزعمهم أنهم أصحاب الحق في الحكم، ودخول أفكار عقدية استغلها الأمراء؛ لتضليل الناس، فضلاً عن إحراز المال؛ للوصول إلى كماليات المعيشة والترف.

٤) أن من أبرز مظاهر الاستبداد في العصر العباسي تجسدت في التوريث في منصب الخلافة واحتكار الخلفاء والوزراء للسلطات، واستبداد الفرس على العرب، واستبداد المذهب الشيعي على سائر المذاهب، واستبداد الفكر المعتزلي على غيره من الأفكار وخاصة الفكر السني.

٥) أن استبداد العباسيين بالحكم وانفرادهم بالسلطة قد انعكس سلبًا على مختلف جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية،

فقضى ذلك على مبدأ الشورى، واضطربت موازين العدل، وانعدمت مراقبة الخلفاء والأمراء، وذهبت أخلاق الناس المتعلقة بالحرية والشجاعة والنقد والصراحة وقول الحق، فظهر النفاق والرياء وغابت المسؤولية، وعبث الأمراء والحكام بالمال العام في المصالح الشخصية وعلى السفهاء وصرف في غير محله، ودخلت عادات غريبة على المجتمع الإسلامي،

ثانيًا: التوصيات:

من خلال دراسة الاستبداد في العصر العباسي توصي الباحثة بما يأتي:

١) دراسة الجوانب الإيجابية في العصر العباسي، والخدمات العلمية والاجتماعية التي قدموها للشعوب الإسلامية وغيرها.

٢) دراسة الاستبداد في العصر الأموي أسبابه ومظاهره وآثاره على الحياة السياسية والفكرية والاقتصادية والاجتماعية.

٣) دراسة الاستبداد في العصر العثماني أسبابه ومظاهره وآثاره على الحياة السياسية والفكرية والاقتصادية والاجتماعية.

المصادر والمراجع

١. **القرآن الكريم.**

٢. إبراهيم، كاظم عبد علي (١٩٧٥م): النوروز مظهر من مظاهر التواصل بين العرب والفرس، رسالة ماجستير، إشراف: د. أسعد علي ود. فكتور الكك، معهد الآداب الشرقية، الجامعة اليسوعية،.

٣. إبراهيم، محمد قطب (١٩٩٢م): كيف نكتب التاريخ الإسلامي، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط١.

٤. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد (١٩٨٨م): ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، المحقق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط٢.

٥. ابن طولون، شمس الدين محمد بن علي (١٩٩٨م): إنباء الأمراء بأنباء الوزراء، المحقق: مهنّا حمد المهنّا، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط١.

٦. ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله (١٩٩٥م): تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل، تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري، دار الفكر، بيروت.

٧. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي(١٩٨٨م): البداية والنهاية، المحقق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط١.

٨. الاستبداد في الحرية، إسحاق، أديب تقديم وتحليل: مارون عبود، (د.ط).

٩. الأصبهاني، أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد (١٤١٥هـ): الأغاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١.

١٠. الأنطاكي، يحي بن سعيد بن يحي (١٩٩٠م): صلة تاريخ أوتيخاء، حققه وصنع فهارسه: عمر عبد السلام تدمري، جروس برس، طرابلس – لبنان.

١١. البرودوني، عبدالله (١٩٩٣م): من أول قصيدة إلى آخر طلقة دراسة في شعر الزبيري، دار الحداثة للطباعة والنشر، ط١.

١٢. بريس، شورى (٢٠١٨م): الاستبداد مفهومه و أنواعه و أسبابه و آثاره، نشر يوم ٢- ٦- ٢٠١٨م، موقع مغرس:

https://www.maghress.com

١٣. بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد (٢٠٠١م): المسند، المحقق: شعيب الأرناؤوط وعادل مرشد وآخرون، إشراف: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة،ط١.

١٤. الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني (١٤٢٣هـ): البيان والتبيين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، دط.

١٥. حسين، محمد الخضر (٢٠٢١م): الحرية في الإسلام، المكتبة التونسية، تونس، ط١.

١٦. الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد (١٩٨٨م): أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري)، المحقق: محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود، جامعة أم القرى (مركز البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي)، ط١.

١٧. الخطيب، بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي (١٤١٧هـ): تاريخ بغداد أو مدينة السلام، المحقق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلميّة، ط١.

١٨. الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (١٩٨٥م): سير أعلام النبلاء، المحقق : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٣.

١٩. الراغب الأصفهانى، أبو القاسم الحسين بن محمد (١٤٢٠هـ): محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط١.

٢٠. الرفاعي، مصطفى بن عبد القادر بن مصطفى بن حسين (٢٠٠٤م): دعوة المقاومة الإسلامية العالمية، بن الشيخ أحمد المزيك الجاكيري، ط١.

٢١. سيد قطب (١٩٩٣م): العدالة الاجتماعية في الإسلام، دار الشروق، القاهرة، ط١٣.

٢٢. الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد (١٤٠٤هـ): الملل والنحل، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت،(د.ط).

٢٣. الصَّلاَّبي، عَلي محمد محمد (٢٠٠٦م): دولة السلاجقة وبروز مشروع إسلامي لمقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ط١.

٢٤. الصنعاني، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع (١٤٠٣هـ): المصنف، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، المجلس العلمي- الهند ط٢.

٢٥. الطبري، محمد بن جرير بن يزيد (١٣٨٧هـ): تاريخ الرسل والملوك وصلة تاريخ الطبري (صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي، دار التراث، بيروت ط٢.

٢٦. طحان، محمد جمال (١٩٩٢م): الاستبداد وبدائله في فكر الكواكبي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ط١.

٢٧. عبد الحافظ، أحمد (٢٠١٥م): أيام الرشيد، دار البشير للثقافة والعلوم، ط١.

٢٨. العسيري، أحمد معمور (١٩٩٦م): موجز التاريخ الإسلامي منذ عهد آدم عليه السلام (تاريخ ما قبل الإسلام) إلى عصرنا الحاضر ١٤١٧هـ/ ٩٦ - ٩٧م، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية – الرياض، ط١.

٢٩. عمر، أحمد مختار عبد الحميد وبمساعدة فريق عمل (٢٠٠٨م) معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط١.

٣٠. العمرجي، أحمد شوقي إبراهيم (٢٠٠٠م): المعتزلة في بغداد و أثرهم في الحياة الفكرية و السياسية من خلافة المأمون حتى وفاة المتوكل على الله، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط١.

٣١. العمرو، علي عبد الرحمن (١٩٧٩م): أثر الفرس السياسي في العصر العباسي الأول، مطابع الدجوي، القاهرة، ط١.

٣٢. الفيومي، أحمد بن محمد بن علي (د.ت): المصباح المنير، دراسة و تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية،(د.ط).

٣٣. القشيري، مسلم بن الحجاج أبو الحسن (د.ت): المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ط).

٣٤. الكواكبي، عبد الرحمن (٢٠٠٩م): طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، تحقيق وتقديم: د. محمد عمارة، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط٢.

٣٥. مجهول (٢٠١١م): من مخازي الرافضة عبر التاريخ، حققه وعلق عليه: علي بن نايف الشحود، ط٢، ٢٠١١م.

٣٦. المسعودي، أبو الحسن على بن الحسين بن على (١٤٠٩هـ): مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: أسعد داغر، دار الهجرة، قم، (د.ط).

٣٧. المسند، عبد الله علي (١٩٩١م): العلويون والعباسيون ودعوة آل البيت، دار المنار، القاهرة.

٣٨. المصري، عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم (١٤١٥هـ): فتوح مصر والمغرب، ترجمة وتحقيق: علي محمد عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١.

٣٩. الندوة العالمية للشباب الإسلامي (١٤٢٠هـ): الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ط٤.

٤٠. ابن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قِزْأُوغلي (٢٠١٣): مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تحقيق وتعليق: محمد بركات وكامل محمد الخراط وعمار ريحاوي ومحمد رضوان عرقسوسي وأنور طالب وفادي المغربي ورضوان مامو ومحمد معتز كريم الدين وزاهر إسحاق ومحمد أنس الخن وإبراهيم الزيبق، دار الرسالة العالمية، دمشق – سوريا، ط١.

تم بحمد الله وتوفيقه

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس الموضوعات

الفصل الثاني

** **